ويكسلوفير

فاطمة رزق

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

الكتاب : ويكسلوفير

الكاتب : فاطمة رزق

تدقيق لغوي : احمد محمد عبدالستار

تصميم الغلاف : عماد رسدي

رقم ايداع: 21714

ترقيم دولي: 978-977-85439-6-4

دار سنون للنشر والتوزيع

الزقازيق - الشرقية - مصر

٠١٠١١٤٦٤٠٣٧

sonon.pub@gmail.com

ويكسلوفير

فاطمة رزق

إهداء خاص

إهداء إلي من كان له الفضل في كل كبيرة و صغيرة فس حياتي
إلي من لا خطوة للأمام دونة , ولا رجعة إلي الخلف بغيرة , لك يا الله ,فهل لك أن تقبل إهدائي لك علي هيئة حمد و شكر و ثناء ...؟

إهداء إلي والدي الحبيبان فقد كانا خير داعم لي في رحلتي , و الدافع القوي لي في بداية طريقي

إهداء لكل من وقف خلفي و ألهمني و استثار قدماي للمضي قدما و عقلي للتفكير

أول إطلالة:

المكان يغشاه الظلام. . لا ليس أيَّ ظلامٍ بل هذا هو الظلام الذي لا ظلام بعده، هدوءٌ تقشعر له الأبدان سيطر على هذه البقعة من الأرض، حتى إن الحشراتِ باتت تخشى المرور من هنا.

هل قُلت أننا على الأرض؟

لا بل نحن أسفلها.

حين تتخبط وأنت تسير في الظلام بين جدران هذا المكان الضيق تدرك أنك لست في مكانٍ هادئ فحسب، بل أنت في مكانٍ يخشاه كُل نفرٍ يسمع عنه.

وإذا قررت فجأةً التنفس تدرك أن الأمر ليس يسيراً

فجأةً تسمع صوتًا عاليًا، صارخًا، قائلًا:

- أخرجوني من هنا!!!

•••••••

الفصل الأول:

-امضِ قدمًا أو انسحب-

١

-امضِ قُدمًا أو انسحب-

نُقشت تلك العِبارة على إحدى هذه الصخور الضخمة التي تحيط بالمكان، وتبِعت تلك العبارات نظراتُ هذه الفتاة الساخرة وهي تردف بهدوءٍ وقد تبين أنها تُمسك بشيءٍ أبيض في يدها:

- حقًا!

هذه الفتاةُ سواد ثيابها كسواد ليلةٍ اكتست بالظلامِ الدامس بعد أن خاصم القمر سماءها، وقد اتشحت بوشاحٍ يصل لقدمها يخفي شعرها وجزءًا من وجهها ليجعلها أكثر غموضًا.

ألقت فجأةً بالشيء الذي كانت ممسكةً به، وقد ظهر بعدها أنه ليس إلا -جُمجُةٌ بشرية!-

اقترب منها شاب هادئ الملامح، اتخذ وجهه الجدية وهو يقول:

- أمامنا وقتٌ طويلٌ لا تقلقي.

تطاير طرف وشاحها لأقل من ثانية، إلا أنها لاحظت الأمر وأردفت وهي تشير نحو اليسار:

- أعتقد أن تلك الغرفة هناك، اتبعني.

سارت هي في المقدمة وتبعها بتمهلٍ فقد كان الطريق مُظلمًا اللَّهم إلا ضوءٌ خافتٌ من هذه الشموع التي يحملانها.

توقفا كلاهما فجأةً عِند حائطٍ قد سَد عليهم الطريق، فنظرت له تلك المتشحة بالسواد بهدوءٍ بينما قال هو بجدية:

- يبدو الطريق مسدودًا (هورتِن)!

لم تنظر له حتى، بينما كان الشاب واقفًا ينظر حوله علَّ عيناه تلتقط مخرجًا. .

- لا أظن أن هذه نهاية النفق، بل هي فقط بدايته.

أردفت بها (هورتِن) بصوتٍ هادئٍ، ونبرةٍ ساكنةٍ وقد تركزت عيناها على جمجمةٍ صغيرة الحجم مهملة على الأرض، فاقتربت منها وانحنت لتلتقطها وهي تبتسم بغموضٍ ثم سارت مرةً أخرى نحو الجدار ويراقبها هو بصمتٍ.

ظلت تتحسس الجدار وكأنها تبحث عن شيءٍ ما، وفجأةً تغيرت تعابير وجهها وبدا وكأنها وجدت ضالتها، ثم بدأت تُقرب هذه الجُمجمة من الجدار، حتى أدخلتها في فراغٍ في الجدار، وفجأةً سمعا صوتًا عاليًا ينجم عن فتح بابٍ ضخم، وما هي إلا ثوانٍ وكان هذا الجدار قد تزحزح للجانب ليعبرا. .

- كُتب باللاتينية هنا أن الجدار يُغلق بعد عشر ثوانٍ من فتحه ولا يُفتح إلا بعد عام.

قالتها ثم دلفت وتبعها الشاب الذي معها. .

وفجأةً ظهر خلفهما ظلٌ يتحرك بسرعةٍ كبيرة، ثم اختفى بين الجدران تمامًا، ولم يلحظه أحد!

●●●●●●●

ألا يجدر بالروح أن ترحب بنا!

٢

ركلت جُمجُمةً أمامها ونظرت لأخرى على مَقرُبةٍ منها وهي تردف بنبرة ساكنة:

- إذَنْ كانت تلك غرفة جثث العبيد!

سمعت صدى خفيفًا لصوتها جعله يكتسب برودةً حادة، وقد نظرت للهياكل البشرية الملقاة حولها بصمتٍ.

- أعتقد أن هذا المخزون يكفينا لعدة أعوامٍ (هورتِن).

أدارت وجهها نصف دائرةٍ لتنظر له بأعينها البنية المائلة إلى اللون الأحمر، وقد لمعت فأصبحت عيناها بلون الدماء وهي في مجاريها قبل أن تجيبه:

- ليس هذا مَطمعي، لا أزال أريد المزيد (دينياس).

ظهرت ابتسامةٌ ليس لها تفسيرٌ، ابتسامة شديدة الغموض على شفتيه وهو يتشدق:

- أعرفكِ جيدًا، أخبريني بما تخفينه!

لم تجبه، بل سارت نحو الأمام للحظاتٍ وقد بدا على خطوات أقدامها الثقة العمياء، وكأنها تحفظ هذا المكان حِفظًا. .

ثم توقفت أمام صخرةٍ ضخمة، زُين أعلاها برأس ثورٍ كبير، بدت وكأنها محنطةٌ منذ ملايين السنين، إذا نظرت لعيني هذا الثور ستجد نظرةً تُخبرك أنك لا يجب أن تطيل التحديق فيه.

- (هورتِن)!

قالها (دينياس) وهو يقترب منها بهدوءٍ، ثم تابع بجدية:

- ماذا الآن!

- راقب.

أجابته بها ببرودٍ وهي تمد يدها نحو قرن هذا الرأس المُحنط، لتنحني مقدمة هذا القرن، ويظهر شقٌ صغيرٌ بداخلها، فتُخرج منه مِفتاحًا صغير الحجم موضوعٌ بداخلها، ثم تسير بعدها وهي تقول:

- هذا المِفتاح. . مِفتاح الكنز.

سمعا صوتًا غريبًا فجأةً، كأصوات رياحٍ تُزمجر!

بلى أصواتٌ لرياحٍ غاضبة، ثائرة، ساخطة. .

بدأ الاضطراب يملؤ ملامح وجهه وهو يتساءل:

- ما هذا الصوت؟

لم تنظر له، بل توقفت فجأةً وقالت وابتسامةٌ جانبية قد اتخذت موضعها على شفتيها:

- إنها الروح (دينياس). . ألا يجدر بالروح أن ترحب بنا!

●●●●●●●

لن يُفتح إلا بعد مرور عام

٣

فتح (دينياس) هذا الكيس الضخم الذي كان معه، وبدأ ينزع عن كل هيكلٍ من تلك الهياكل جمجمته، ويضعها بداخله بهدوءٍ وهو ينظر لهم بنشوةٍ وكأنه وجد كنزًا مكنونًا، بينما كانت تراقبه هي بصمتٍ على بُعد خطواتٍ منه، تتأمل هذا المنظر من العظام والهياكل الذي أمامها، وفجأةً استقرت عيناها على أحد تلك الهياكل، وقد زُين أعلى جمجمته بتاجٍ مرصعٍ بالجواهر الثمينة. . اقتربت منه بخطىً ثابتة، قبل أن تنحني وتمسك بجمجمته وترفعها لتنظر إليها لترى أن ثلاثةٍ من أسنان تلك الجمجمة من الذهب الخالص، وأحد ضروسه في الفك الأيمن من الذهب. .

- هـه! إِذَنْ لقيت حتفك بين عبيدك أيها الأبله!

أردفت بها بتهكمٍ ومن ثم نظرت لهذا الذي يجمع الجماجم مندمجًا، وأردفت:

- (دينياس)!

نظر لها سريعًا، فألقت الجمجمة بين يديه وهي تتابع بهدوء:

- أعتقد أن رأس هذا الأبله ستسعدك لبعض الوقت.

التقطها منها وقد بدت عليه السعادة أكثر مما كان، ثم نظر لها قائلًا:

- أي رجلٍ هذا الذي مات بين عبيده!

ابتعدت هي قليلًا لتقف أمام إحدى تلك الصخور، تتأملها لبعض الوقت قبل أن تجيبه بغموض:

- هذا ما يفعله الجشع (دينياس).

ثم استدارت لتنظر له للحظةٍ لتردف بعدها بنفس النبرة الساكنة:

- ومن يدري لربما انضممنا إليهم قريبًا!
بهتت ابتسامة (دينياس)، وأشعرته جملتها بالضيق من داخله رغمًا عنه، ثم تابع ما يفعله بصمت!

كانت هي تتحسس تلك الصخور وكأنها تبحث عن شيءٍ ما. .
- ماذا تفعلين؟
- ألا تذكر أن الباب قد أُغلق، لن يُفتح إلا بعد مرور عام.
تساءل مستفهمًا وقد بدأ يقلق:
- ماذا تقصدين، أنتِ تعرفين طريق العودة أليس كذلك؟!
أجابته بهدوء:
- ألم أقل لك قبل قليل، لربما انضممنا إليهم قريبًا؟

•••••••

٤

هنا يرقد (جهيناز دولير لاهوترا)

حمل ذلك الرجل الملثم مِحراثًا كبير الحجم وسار ليلًا بين تلك القبور إلى أن اتقر أمام ذلك القبر. . قبر المدعو (دولير رام لاهوترا).
بدا هذا القبر مُظلمًا أكثر من غيره، يحفه الصمت المرعب، لا تسمع ذبابةً تطن من فوقه، أو حشرات الليل تسكنه، نظر له الملثم بهدوءٍ وقال وبرود نبرته تلفحه:
- أي ظُلمةٍ تلك أيها الراقد العاجز؟
ثم ثبت محراثه من فوقه وبدأ يحفر، كان قبرًا فوقه التراب فقط، لا يوجد صخورٌ بالأعلى بل فقط التراب، ولوحُ مذكورٌ عليها اسمه.
حفر طويلًا حتى اصطدم محراثه بشيءٍ صُلب، هنا ابتسم هو وبدأ يتابع الحفر لكن بيديه، هاقد عثر عليها. . تلك الجُمجُمة الثمينة، ليست أي جُمجُمة، بل هذه هي جُمجُمة صديقه العزيز -دولير لاهوترا-!
استخرجها سريعًا، ثم وضعها داخل قماشةٍ سوداء كانت معه وأخذ محراثه، وانصرف ولم يهتم حتى بردم تلك الحُفرة على بقايا هيكله العظمي. .
بل ترك الرياح تكشفه أكثر.
خرج هو ليجد تلك العربة ذات الحِصانين تقف، وتنتظره، فركب فيها، وبمجرد أن فعل انطلقت العربة بسرعة الريح، وكان وشاح تلك السائقة يتطاير في الهواء فيلمع سواده مع ضوء هذا القمر الوهاج.
ثم توقفت العربة أمام منزلٍ ضخم، ألوانه سوداء يملؤها الغموض رغم أنك

إن نظرت إليه ستعلم أنه منزل من الطراز الحديث.
نزلت ذات الرداء الأسود، وتبعها هذا الممسك بالجمجمة ودخلا المنزل بصمتٍ وهدوء دون أن ينبس أحدهما بكلمة، وحين دخلت هي أغلق هو الباب، ثم تابعا تقدمهما إلى حجرةٍ في نهاية الرواق، طوال سيرهما تستطيع أن ترى تلك الجدران المزخرفة، وهذه التُحف الموضوعة على بعض الأرفف، بيتٌ شديد الرُقي، والاتساع، تدرك من خلال نظرتك الفنية أن هذا المنزل ليس لمجرد اثنين من عامة الشعب! بل هما فاحشا الثراء.
دخلا الغرفة، وأغلقا الباب عليهما بالمفتاح.
غرفةٌ غامضةٌ جدرانها باللون الأسود، سوادٌ لا يضاهيه سواد.
هناك رؤوسٌ لحيواناتٍ محنطةٍ تملؤ الجدار، وعدة قلاداتٍ معلقة تنتهي برأس تنين أو ثعلب!
تقدمت هي نحو خزانتها فجأةً وفتحتها لتخرج مِفتاحًا صغير الحجم تفتح به درجًا في الجانب الأيسر من الخزانة حيث لا تراه أي عين، ثم أخرجت مِفتاحًا آخرًا كبير الحجم، وبدأت تزيح الخزانة من محلها، فذهب وساعدها هو على إزاحته، حينها انحنت هي قليلًا وبدأت تتحسس بيدها حتى عثرت على شيءٍ ما، كان ملصقا يُشبه لون الجدار وصغير الحجم، فقامت بنزعه ووضعت المِفتاح داخله، أدارته مرتان لليسار، ثم ثلاث مراتٍ لليمين وأخيرةً في اليسار ففتح بابٌ يصل طوله إلى رقبتها، حينها دلفت للداخل، فأغلق هو تلك الأدراج التي تركتها مفتوحة، ثم دلف للداخل، ولكن قبل أن يتبعها أمسك بحبلٍ كان في بداية الممر، وعلقه بمِسمارٍ في الخزانة وبدأ يسحبه ليسد الحائط كما كان ليتبعها بعدها، وكل هذا ولم ينبس أحدهم بكلمة.
بمجرد أن عبر هذا الممر كان هناك تلك الغرفة شدية الاتساع غرفةٌ ممتلئةٌ

بأغراضٍ غريبة، مِثل لفائفٌ غريبة الشكل بدت وكأنها تشبعت من التراب، هياكل عظمية كاملة بدون لفائف، وأخرى باللفائف، جماجم أُلقيت على الأرض بترتيبٍ دقيق، والعديد من الزجاجات الممتلئة بمسحوقٍ أبيض اللون بمسافاتٍ متساوية على الأرفف. .

سيطر على تلك الغرفة ظلامٌ دامسٌ في منتصفها، ثم وبعد المنتصف تمتلئ بالشموع لتنير باقي الغرفة بضوءٍ خافتٍ يجعل من يراه يُدرك أن عدمه أفضل!

في إحدى زوايا تلك الحجرة هناك مكتبةٌ كبيرة الحجم ممتلئةً بالكتب، وبجانبها قفصٌ كبير الحجم بداخله غرابٌ شديد السواد، لكنه لا يتحرك أبدًا!

حتى هذا الغُراب مُحنط.

نزع هو هذا القناع عن وجهه. .

نعم إنه (دينياس)!

بدأ يُحرر هذا القماش من هذه الجُمجمة حتى سقطت في الأرض، وظل هو ينظر لهذه الجُمجمةُ بتشفٍ، تقدمت هي بخطاها الثابتة نحو هذا المقعد، وجلست عليه وعلى وجهها ابتسامةٌ ماكرة.

- هل تشعر بالراحة الآن؟

ابتسم هو وهو ينظر للجمجمة:

- بالطبع (هورتِن). .

بدأت نظراتها تحتد قليلًا وهي تنظر له متسائلةً بجدية:

- الآن هل أنت جاهزٌ لما نحن مقدمان عليه؟

رفع رأسه لينظر لها مُجيبًا بهدوء:

- مُرِيني.
وقفت هي وسارت بهدوءٍ نحو إحدى تلك الزجاجات وهي تتحدث:
- لوسكاس أرسل في طلبيةٍ أُخرى.
رفع عينيه على إحدى تلك الزجاجات وهو يجيب بجدية:
- طلبه جاهز، سأوصله له على عجلة السرعة.
- لا بأس، لكن أريدك أن تمر على هادرن وترى ما وصلت إليه بنفسك.
اتسعت عيناه فجأةً وهو يسألها بصدمة:
- هـ . هادرن ؟
اقتربت منه بضع خطواتٍ متريثة قبل أن تقف أمامه فجأةً وتجيبه بنبرةٍ جليدية:
- أنا لا يَخفى علي شيء مما تفعله. .
- مـ . ماذا فعلتِ بها؟
- قتلتها.
بدت عليه الصدمة وهو يسألها:
- و. . لكن لماذا؟
- أخبرتك من قبل إذا كنت تريد العمل كمساعدٍ لدي سيجعلك الأمر تتنازل عن الكثير من حقوقك وأولها ممنوعٌ هذا الشيء المذكور بالحب!
وأنت وافقت (دينياس). .
أنت لم تقل غير موافقٍ (دينياس). .
أنت تنازلت عن حقوقك حين قلت -موافق- وهذا أعطاني الحق في قتلها.
بدا عليه الحزن، مع لمحةٍ من القوة، ولكنه أجابها بخضوعٍ:
- أنا آسفٌ (هورتِن)، لقد سيطرت علي شهوتي، أعدكِ أنها المرةُ الأخيرة.

استدارت وهي تجيبه بنبرةٍ هادئة:
- أنا لا أعطي الكثير من الفرص فحاول التشبث بهذه الفرصة و عدم إهدارها.
أجاب ناكسًا رأسه بخضوع:
- سأحرص على ذلك.
ذهب هو وأخذ بضع زجاجاتٍ من هذا المسحوق الأبيض، وحين كاد يذهب.
- (دينياس)!
التفت إليها بهدوءٍ فتقدمت إليه بثباتٍ تجر ذيل ردائها الطويل خلفها، ثم أمسكت بتلك الزجاجات من يده ونظرت للجمجمة الملقاة على الأرض وهي تردف:
- لما لا نبعث له طلبيةً طازجة؟
ظهرت ابتسامةٌ شيطانيةٌ على وجهه وهو يجيب بجمود:
- ألن نتأخر؟
سارت هي قُدمًا بتلك الزجاجات وهي تقول ببساطة:
- لا، وحتى لو تأخرنا عليه الانتظار.
ثم استدارت تتابع:
- (دينياس) عدوك هو عدوي لذلك لن يهنأ حيًا أو ميتًا.
ثم ابتعدت عنه لتتركه يتذكر بهدوءٍ ما حل بعشيقته إنه لم يحبها. . لكنه أحب ما تقدمه له فقط. .
سار للأمام يُمسك بتلك الجمجمة ثم ابتعد وهو يقول بهدوء ولا مبالاة:
- فتاةٌ تَروح وأخرى تأتي. . .

•••••••

شیزون

٥

علا صوت التصفيق وهذا الرجل يدخل إلى المسرح ينظر إلى الجمهور بزهوٍ وكبرياء. . نظرات تقول في طياتها:

- هؤلاء هم ثِمار جهدي. .

كان الجمهور لمد البصر، متراصًا وكأنه قد جاء ليرى عرضًا ليس له مثيل!

اعتدل في وقفته، وبدأ يتحدث بنبرته الهادئة:

- أعلم أنا ما الذي جئتم لتروه، وأعلم أي متعةٍ تودون الحصول عليها هنا. . لذا فلن أطيل عليكم الحديث، فقط نصيحتي هي. .

لا مكان لأصحاب القلوب الضعيفة بيننا.

ثم صمت وتراجع خطوتين للخلف فاختفى فجأةً خلف السِتار، وطغى الظلام على المكان.

وحين أضاء المسرح بأضواءٍ خافتةٍ ظهر تابوتٌ في منتصف المسرح. . إذا نظرت لهذا التابوت مليًا ستدرك أنه تابوتٌ حقيقي!

ثم ظهر الساحر من جديد، يتطاير طرف وشاحه ليجعله لوحةً فنيةً للغموض بشتى الطرق. .

اقترب من هذا التابوت وبدأ يردد بعض العبارات، فيصبح خافضًا لصوته حد اللا فهم، وفجأةً يصم آذان الحاضرين بكلمة:

- اخرج عليهم. .

وما هي إلا لحظاتٍ وبدأ هذا التابوت يُفتح تدريجيًا وتخرج منه يدٌ قد لُفت بشيءٍ ما أبيض اللون. . !

يكفي صوت هذا التابوت وهو يَفتح ليضفي نكهةً من الرُعب الخالص لدى

الحاضرين. .
أوقف الساحر عمله فجأةً والتفت نحو الجمهور لتثبت عيناه على هذا الرجل المُتبرم في نهاية الصف. . واستشف من عيناه استخفافه بما يفعل.
- أنت.
توتر الرجل حين علم أنه المطلوب وأجاب:
- أأ. . أنا؟
- بلى، تعال إلى هنا.
ابتلع هذا الرجل ريقه في توترٍ وهو يقدم إليه. . التابوت يُفتح من خلف الساحر وهو غير منتبهٍ له بل فقط ينظر للرجل القادم، وتلك اليد التي كانت تخرج من الصندوق لم تعد مجرد يدٍ بل ذراع شديدة الغرابة. . !
وقف الرجل أمام الساحر محاولًا ادعاء الهدوء، بينما ابتسم له الساحر ابتسامةً أرعبته!
- مرحبًا ريكاردون!
نظر له الرجل بصدمةٍ وهو يسأله:
- كـ . كيف عرفت اسمي؟
لم يعبأ بالإجابة عليه وتابع في نظرةٍ هادئة، ونبرةٍ خافتةٍ خطيرة:
- وجدتك تشعر بالملل فطلب صديقي أن يحييك!
قوّس حاجبيه في عجبٍ وهو يسأله:
- صديقك!
- شيزون!
بمجر أن نطق هذا الاسم انفتح التابوت بالكامل ووقف من كان بداخله وكأنه قد تلقى أمرًا صارمًا بالخروج. .

هذا الذي خرج لم يكن شخصًا عاديًا!
هذا الذي خرج. . كان مومياءًا مِصرية.
وقد جحظت عين الرجل بصدمةٍ وهو يراه يقف بجانب الساحر، ليحدثه الساحر بهدوء:
- حيهِ صديقي.
خرجت تلك المومياء بالكامل من التابوت، وتقدمت بضع خطواتٍ فيما ابتعد فيها الرجل متراجعًا، لكن فجأةً أمسكت به تلك المومياء الملفوفة باللفائف غريبة الشكل من يده لتُسلم عليه بالطريقة التقليدية، لكن هذا الرجل نظر فجأةً ليدي هذه المومياء بذعرٍ لدرجة أن عدة شُعيراتٍ من رأسه قد أصابها الشيب، ثم سقط مغشيًا عليه. .
فنظر له الساحر نظرةً سوداء، وقد ظهرت على وجهه علاماتُ الظُفر وهو يردف:
- مسكينٌ ريكاردون، لم يحتمل الصدمة!
ثم نظر للجمهور بثباتٍ وهو يقول ببرود:
- أمنكم من يريد أن يجرب؟
ساد الاضطراب بين الجمهور وهم ينظرون لبعضهم بذعر. .
ليقف فجأة رجلٌ عليه علامات الإستهجان وهو يردف:
- أظن أن زي المومياء هذا سهل الصنع فـ. .
لم يكمل الرجل كلمته حتى وقعت تلك اللفائف من على المومياء ليظهر من خلفها هيكلٌ عظميٌ لإنسانٍ قد فني منذ قرون. .
حينها ارتجفت أواصل الرجل ولم يقوَ حتى على الوقوف، فسارع بالجلوس.
مهلًا هل فقد الساحر تحكمه بتلك المومياء!

فقد بدأت تسير للأمام نحو الجمهور وقد بدأ الناس يصرخون برعبٍ ويقومون من مقاعدهم، وتلك الطفلة التي لم تتم العشر أعوامٍ على ما يبدو أنها قد نالت استحسان تلك المومياء فأمسكت يدها ولم تتركها وظلت الفتاة تصرخ وتصرخ وتبكي، ولكن لم تتركها المومياء بل تقدم الساحر وعلى وجهه ابتسامة شيطانية، ورفع وجه هذه الفتاة إليه لينظر في عينها ويقول:

- أعجبتني شيزون أحضرها لي. .

تركها الساحر لتجرها المومياء نحو التابوت وهي تصرخ قائلةً:

- اتركيني. . أمي، أبي. . !

لا لم تتركها بل ألقتها في التابوت أخيرًا وأغلقت عليها لدقيقة واحدة فقط، وحين فتحت المومياء التابوت عليها أخرجت تلك الفتاة سليمةً تمامًا و. . لحظةً واحدةً فقط!

لقد اختفى اللحم من على قدمها لتحل العظام محل اللحم في أقدامها فقط!!!

ثم سقطت الفتاة مغشيًا عليها. .

●●●●●●●

٦

هناك أكثر من خمسة عشر كتابًا مفتوحًا في تلك الغرفة المظلمة، تلك الكتب مفتوحةٌ على صفحاتٍ متفرقة، ورسوماتٍ غريبة، وفي المنتصف تجلس هي بردائها الأسود تُمسك كتابًا أسود الغلاف تقرأ منه كلماتٍ غير مفهومةٍ بنبرةٍ هادئة:

- خُدامي المُساقون إلى حلقتي، آمركم من كبير كبيركم إلى حقير حقيركم بأن تجيبوني، وتحت سلتطي تخضعون لي وتطيعوني. .

دعوا السماء لرب السماء فلن تنفذوا من أقطارها مهما حاولتم، دعوا الأرض لرب الأرض فلن تغووا أهلها الأتقياء مهما فعلتم، واخضعوا لسلطتي وإلا لاقيتم عُدواني.

صمتت قليلًا وقد بدأت تُلاحظ تطاير صفحات الكتب أمامها وحركةٌ في المكان بجانبها فابتسمت بثباتٍ وهي تتابع:

- آمر كل الأرواح التي في هذه الحلقة أن تُساعدني على استحضار قرين المدعو (آرثر جين).

ثم بدأت تقرأ بعض الطلاسم غير المفهومة التي لم يُستنبط منها إلا بعض الكلمات:

- روح، بلاء، ظلام، جِن، قرين الساحر العظيم. . !

وكانت معظم الكلمات الباقية غير مفهومة كحروفٍ متفرقةٍ وأخرى برغم تكوينها العبارات لازالت غير مفهومة!

فجأةً بدأت تشعر بحركةٍ هادئة من حولها، هذه الحركة كانت صوتًا لوقع أقدامٍ صغيرةٍ تسير بجانبها. .

لم ترجُف جفونها حتى بل ظلت تستمع للصوت بهدوءٍ شديد!
فجأةً ظهرت أمامها قطةٌ سوداء، لا. . بل شديدة السواد، نظرات عينها أشبه بنظرة الفهد لفريسته قبل الانقضاض عليها، لون عينيها باللون الأحمر القاني.
ظلت (هورتِن) تنظر لها بهدوءٍ وكأن شيئًا لم يكن، ثم تحدثت فجأةً:
- لو تحاول إخافتي فصدق أو لا تصدق لن أخافك!
زادت عينا تلك القطة شراسة وبدأ صوتٌ غريب يتسرب منها قائلًا:
- وأنا معجبٌ بشجاعتكِ (هورتِن)، فمنذ وقتٍ طويلٍ لم أحظَ برؤية من هي بمثل شجاعتكِ!
وبدأت تلك القطة تقترب منها إلى أن استقرت بجانبها، فالتقطتها (هورتِن) ببساطةٍ ونظرت لها مليًا وهي تتحدث ببرود:
- دعوت قرين آرثر لا قطةً سوداء سخيفة!
ثم ألقت بها بقوةٍ على الأرض، فنظرت لها القطة بغضبٍ وقد صدر الصوت عنها بـ:
- أنا قرينه.
رغم هذا الغضب الذي اعترى القطة كانت تُظهر الخضوع لها والخوف منها!
ألم تكن تلك القطة من معشر الجان أم الإنسية أخطأت!
نظرت لها بجمودٍ وهي تقول:
- لا بأس، إِذَنْ أريد جوابًا واحدًا فقط عن هذا الشيء الذي لم أستطع الوصول إليه حتى الآن؟
خضعت تلك القطة بالرد:

- سلي وسأجيب.
- قلادة هينوريوس أين هي؟
أجابت تلك القطة بخضوع:
- لا يجدر بي أن أقول إلا أنه دُفن مع آرثر في تابوته الخاص.
رفعت رأسها تنظر لعيني تلك القطة بجديةٍ تامة وهي تردف:
- وأين قبر آرثر؟

•••••••

٧

وقفت تلك الفتاة تختلس النظر من خلال فُتحةٍ صغيرةٍ في باب تلك الغرفة التي أمامها. .
كانت ملامح تلك الفتاة تتميز بالثبات والهدوء رغم حدة ما تراه!
فقد كان هذا الرجل الذي تراقبه في الداخل يقول كلامًا غريبًا فيظهر أمامه مخلوقات جد مرعبة. . فأي مخلوقاتٍ هذه!

فجأةً تبتعد عن الباب وهي تستمع لخطواتٍ قادمةٍ من خلفهما، وسمعت صوتًا خافتًا يقول بنبرةٍ غاضبة:
- (هورتِن)، ماذا قلت لكِ بشأن مراقبة والدكِ؟
لم تهتم (هورتِن) بالإجابة وسارت بعيدًا عنها، فتقدمت تلك السيدة بملامح حادة منها، ووقفت أمامها تتابع بضيق:
- لا تبتعدي وكأن شيئًا لم يكن!
نظرت لها (هورتِن) بملل وأبعدت رأسها عنها، فبدأت تلك السيدة تبكي قائلةً بحزن:
- (هورتِن). . حبيبتي، أرجوكِ أنا لا أريدكِ أن تكوني مثل والدكِ، لقد اكتشفت ما يقوم به بعد أشهرٍ من زواجنا، عذبني. . تحكم بي، منعني من مغادرة المنزل حتى بت أعامل كخادمةٍ لا أكثر، بل الحقيقة أنكِ لا تعتبريني إلا خادمةً مثله! كل هذا لأني رفضته ورفضت ما يقوم به!
ثم وضعت يدها على وجهها وهي تتابع بأسف:
- أنا أحبكِ كثيرًا أنتِ و(دينياس)، لكن أحدًا لم يبادلني هذا الحب!

أخاف عليكما أنا مما يفعله والدكما، ولا أريد لأحدٍ منكما أن يتعلمه فهو وباءٌ. .

- إذا انتشر ضمرت باقي الخلايا. . صدقيني حفظت الكلام من كثرة ترديده.

. مللت دموعكِ من كثرة انهمارها، سئمت ما تفعلينه من كثرة المرات التي فعلتها بها!

قاطعتها بها (هورتِن) بقسوة، ثم تركتها وذهبت وقد جلست تلك السيدة أمام الباب تبكي بألم!

- كانت حريتكِ بيدكِ منذ عشرة أعوام لكنكِ اخترتِ أن تصبحي المنبوذة! لكم أحببتكِ وأعطيتكِ فرصًا قبل أن أفرض سيطرتي لكنكِ لم تستفيدي منها في شيء!

نظرت له وقد اغرورقت عيناها بالدموع، وبدأت تقف وهي تجيب بهدوء:

- لن أندم يومًا على هذا صدقني، متى حاولت إقناعي بالعدول عن رأيي لن أفعل.

أتفهم ما معنى كلمة أكرهك؟

يعني أنك إذا أحضرت سيفك لتشقني لنصفين ستجد بدل الدم الذي يجري في العروق كرهٌ وحقدٌ عليك.

يعني أنني بت أعيش على أمل أن أراك جثةً هامدة.

يعني أنني أحلم كل يومٍ بالخلاص منك.

•••••••

٨

في ذاك الميدان العام الذي من خلاله تستطيع أن ترى من محل وقوفك كل الجالسين في هذه المدرجات العملاقة، ألف. . ألفان. . ثلاثة. . لا بل يتجاوز عددهم الخمسة آلاف ينظرون أسفلهم إلى ذاك العرض المغري.

إلى الأسفل قليلًا تبدأ الرؤية تتضح، ثلاثة رجالٍ أحدهم يرتدي ثيابًا مهترئة، مربوطٌ بسلاسل من حديد وفي نهايتها كرة حديدية ضخمة تزن طنًا. . .

وقف هذا الرجل ينظر مليًا للمتفرجين وحالت عيناه دون نظرة أحد الجماهير الغفيرة، كانت طفلةً صغيرة تنظر له نظرةً بريئةً جعلت فمه يتحرك بابتسامةٍ ذات وهجٍ خاص.

لم تملك عيناه حينها إلا تلك النظرة الحنونة، تلك النظرة التي يقول من خلالها. . آسف.

ثم حوّل عينيه إلى تلك السيدة التي تدمع عيناها كلما نظرت له أكثر، وقست عيناه وكأنما يوبخها على شيءٍ ما. .

من الجدير بالذكر أن تلك السيدة كانت ترتدي حجابًا. . كما الكثير من هذه الجماهير.

وقفت تلك السيدة فجأة، وحملت معها ابنتها، ضمتها إلى قلبها بشدة، ونظرت نظرةً أخيرةً لهذا الرجل الذي في المقابل حانت نظراته كثيرًا. .

حاولت تلك السيدة الابتسام له لكنها لم تستطع فغادرت هي وطفلتها التي تمد يدها في محاولة يائسة للإمساك بهذا الرجل ثم بكت الطفلة متسائلةً:

- أمي لمَ سنغادر بدون أبي مرةً أخرى؟

نظرت لها والدتها بحزنٍ وضمتها وهي تجيب بكلمةٍ واحدةٍ فقط ليكون

الألم هو المعبر الوحيد عنها:
- آسفة.
بعد خروج الأم وطفلتها نرى هذا الرجل وهو ينظر في اتجاه اليسار تحديدًا إلى ذاك الليث العملاق الذي يدخل إلى الميدان بزهوٍ، ينظر إلى فريسته نظراتٍ ثاقبة، وفي المقابل تنظر فريسته له بهدوء. . نعم هذا الرجل نظر له بهدوءٍ وهو يراه يقترب، نظر له نظراتٍ تخلو من الخوف، ثم ابتسم له لا بل وبدأ يقترب منه قائلًا بصوتٍ هادئ:
- إن كنت مصيري فلا أخشى مصيري المحتوم.
ثم أغمض هذا الرجل عينيه ووقف في محله وهو يستمع إلى صوت تهشيم هذا الليث لعظامه حتى تركه في النهاية مجرد عظماتٍ متفرقة. .
يبدو أن ذاك الليث كان جائعًا لا بل وغاضبًا جدًا أيضًا. . !
سيطر على الجمهور حالةٌ من الصراع الداخلي بين إن كان هذا الرجل يستحق ما حدث له أم لا، هل هو خائنٌ أم لا وبدأ الجمهور ينقسم لفريقين أحدهما مؤيدٌ لما يحدث شامتٌ في الرجل المأكول، وآخرون اعترفوا بمدى وحشية الأمر ودمويته!
ألا يذكرك ذلك المشهد بشيء؟!
انسَ الأمر. .
فلنتابع.

•••••••

٩

حين فُتح هذا الباب من الزمان والمكان. .
-لم تكونوا بني البشر في أنفسكم بشرًا. .
كنتم إذا ما الثور في الميدان للأحمر انجذب. . لكن قبل إمساكه به اختفى.
فقدتم بني البشر نهجكم. . طريقكم. . حياتكم. . فبتُّم عبيدًا، عبيدًا لا طريق لهم سوى الدمار الشامل واتباع أهوائكم.
خُلقتكم لتعبدوا. . لتنموا وتزرعوا وتصنعوا. . لتعمروا. .
لكنكم فقدتم حد الكف فبات سبيلكم نحو كل شيءٍ مباح.
متى تستيقظون!-
رفع هذا الشاب المكبل بالأصفاد يديه من على هذا الصخر الذي ظل ينحت تلك العبارات فيه بالحسرة والألم. .
نظر حوله لمن هم مثله، في مثل وضعه، مقيدون. . سبايا، وردد بداخله:
- من التالي. . من التالي يا تُرى!
وتبع هذا التساؤل فتح باب الزنزانة الحديدي بضجيجٍ صاخب، ثم دلف إلى الداخل رجلٌ ذو شاربٍ طويلٍ أسود، لديه نظرة اكتهاءٍ وخلفه تابعان، ثم ظل يُحملق لثلاث دقائق في كل فردٍ في تلك الزنزانة حتى استقرت عينه على صاحب الكلمات، هنا ابتسم صاحب الكلمات معيدًا الترديد داخله ساخرًا:
- إِذَنْ أنا التالي.
أشار ذو الشارب عليه وهو يتحدث بهدوءٍ شديدٍ لتابعيه:
- هذا. . أحضراه لي.

- إِذَنْ أتعلم ما عليك فعله؟
نظر الشاب لذو الشارب إثر تلك الكلمة بنظرةٍ هادئة ثم أجاب:
- لا
استدار حوله هو متسائلًا:
- ما اسمك؟
- هيو.
جلس ذو الشارب على كرسيه ممدد الظهر وهو ينظر إلى هيو نظراتٍ خبيثة.
- لا بأس هيو أنا سأخبرك. .
لديك خياران بطريقين لا يعرف منهما الآخر.
- الأول؟
- أن تفعل كل ما آمرك به مهما وصل الأمر، من قتلٍ واعتداءٍ وسرقةٍ وغيره.
ألا تتنفس إلا بعد إذني، أوامري كالسيف على رقبتك إلم تنجزهها فسيخترق السيف رقبتك بالفعل.
وفي المقابل. . ستعيش مرفهًا، ما ستحتاجه ستناله.
- والثاني؟
- أن أدعو أسرتك على وليمةٍ بشرف الأسد.
ابتسم هيو شبه ابتسامةٍ متهكمةٍ وهو يجيب:
- حين ولدتني أمي كنت حرًا، وحين كبرت كنت حرًا، وحتى تلك اللحظة حرٌ أنا. . فتأكد أني سأعيش وأموت على ذلك.
نزل الرجل من على المقعد قائلًا بمكر:
- وماذا عن عائلتك ألا تخشى عليها من بعدك، وحتى رؤيتك وأنت. .

ضحك هيو مقاطعًا إياه بقوةٍ وهو يجيب:
- عائلتي؟
أتقصد زوجتي وابنتي؟!
لا تخف انهم أقوياء، الآن إن كنت ستتفاوض معي فأخبرك ألا مجال للتفاوض.
ثم صمت قليلًا قبل أن تحتد نظراته وهو يتابع:
- الخيار الثاني.

•••••••

١٠

ظل قلبه يخفق بشدةٍ وعيناه متسعتان وهو يصرخ:
- ماذا تقصدين، كيف تأخذينا إلى هنا وأنتِ لا تعلمين كيف نخرج؟!
نظرت له ببرودٍ وهي تجيب:
- أخبرتك أن الباب لا يُفتح إلا بعد عامٍ وأنت تبعتني.
- لكن. . لكن. . ظننتكِ تعرفين طريقًا غيره!
استندت على الجدار وهي تقول:
- لا (دينياس)، هذا هو الطريق الوحيد.
نظر لها بغضبٍ وأخذ يسير يمينًا ويسارًا، جيئةً وذهابًا باحثًا، ناظرًا بترقبٍ حوله علَّه يجد مخرجًا من تلك المقبرة، التي اختفى آخر شعاعٍ لضوئها مع آخر قطرةٍ من الشمعة المشتعلة فخيم الظلام. .
هنا كانت كل آماله بإيجاد طريقٍ بديلٍ قد اندثرت وكل ما فكر في فعله حينها هو. .
- أخرجوني من هنا!!!
صرخ مرددًا إياها بقوةٍ وهو يضرب على الحائط، وظل يصرخ قائلًا إياها لدقائق حتى فقد الأمل. . فقد الأمل في أن يسمعه أحد.
- ممن تطلب النجدة (دينياس)؟
من الأرواح القاطنة هنا منذ آلاف السنين؟ أم من الجِن؟
أسرع هو إليها وانحنى عند أقدامها وهو يتوسل:
- أخرجيني من هنا أرجوكِ، لا أريد أن أموت هنا.
- لا أستطيع.

- أرجوكِ (هورتِن)، أتوسل إليك. . افعلي ما تجيدينه، تواصلي مع العالم الآخر، حدثي الجن واجعليهم يساعدونا أنتِ تستطيعين فعل ذلك.

ضحكت (هورتِن) بقسوةٍ وهي تجيب:

- (دينياس) إنهم يكرهونني وكانوا مجبرين كل ذلك الوقت على إطاعتي، أما الآن فلا أستطيع الاستعانة بهم لأنهم لن يوافقوا أبدًا على هذا.

ثم سارت مبتعدةً عنه وهي تتابع:

- لا تكن ضعيفًا هكذا. . مُت بشموخٍ كما عشت بشموخ.

- ويأتي أحدهم بعد ذلك يأخذ جمجمتي ليصنع منها المخدرات!

ويأتي آخر ليأخذ عظامي ليصنع منها دواءً. . لا يا (هورتِن) أرجوكِ، أعلم أن حلولكِ لا تنفذ.

جلست (هورتِن) مستندةً بظهرها وهي تقول بخواء:

- ألم يأتِ يومٌ عليك وفكرت، كم إنسيًا قتلنا. . كم أسرةً شردنا، كم شخصًا أدمن فمات بسببنا، كم من الهياكل البشرية سرقنا، ألم تشعر يومًا بالاختناق أنك بالإضافة لكل هذا لست سعيدًا. .

كنت أفعل ما كان يفعله أبي، لقد علمني التحضير وصُنع المخدرات، علمني كل ما كان يعلم، وكنت أحب فعل كل هذا لكن من داخلي لست سعيدة! كانت أمي دائمًا تحذرني من هذا الطريق، وكانت تكره أبي ولم تكن تبقَ معه بإرادتها بل هو من أجبرها يا (دينياس). .

كان يعذبها، ولعشقه لها يتعذب معها لذلك قتلت حبيبتك يا (دينياس)، لم أرد أن تتعذب.

وضع (دينياس) يده بين خصيلات شعره وهو يتساءل بهدوءٍ مفاجئ:

- لم تريدي تعذيبي لكن أردتِ لي الموت أليس كذلك؟

ظلت تنظر له بصمتٍ فسألها صارخًا:
- ما فائدة موتنا في مكانٍ مقرفٍ كهذا!
- لنكون عبرةً لغيرنا (دينياس).
أخرج (دينياس) سكينه من جيبه واتجه إليها وهو يصيح بها:
- سأقتلكِ إلم تخبريني عن طريق العودة.
ابتسمت هي ناظرةً له ببرودٍ وقالت:
- افعل إِذَنْ.
جلس أمامها وهو ممسكٌ سكينه ويتابع:
- لطالما كانت إجابتي لكِ سمعًا وطاعة، لطالما نفذت كل أمرٍ طلبته مني، أيكون هذا جزائي؟
ثم ألقى بالسكين بعيدًا، في غضبٍ أجم. . . لا يستطيع قتلها ليس لأنها أخته بل. . بل لوفائه الشديد لها.
صمتت هي قليلًا قبل أن تنطق بشرود:
- كنت أحب أبي، ثم أصبحت أكرهه، لكن لطالما أحببتك أكثر منه، أعلم أنني كنت قاسية معك جدًا إلا أنني لم أتعلم يومًا الحنان، لطالما كنت قاسية ولا أهتم بمشاعر أحد.
لم يعبأ هو بما تقول هو يردد:
- لا أريد الموت هنا. . لا أريد أن أموت هنا!

•••••••

١١

ليلًا. .

سيق هذا التابوت محمولًا على أكتاف الناس متجهين به إلى حفرةٍ سوداء مظلمةٍ، وبمجرد اقترابهم منها بدأوا بإنزال الصندوق. . كانت أعين الحاضرين تذرف الدموع، كان هناك امرأةٌ وزوجها يقفان، وينظران بألمٍ إلى التابوت وهو يدفع ليُخرجوا منه جثة مكفنةٌ، ولكنهم بمجرد أن بدأوا بإخراجها لاحظوا شيئًا عجيبًا. . .

- كيف تلطخ الكفن بهذا اللون الأسود؟

قالها رجلٌ ذو لحيةٍ بيضاء يساعد معهم في حملها. .

وضعوا الجثة على مقربةٍ من الهوة السوداء، وبدأ الجميع ينظر بصدمةٍ إليها. .

- أنا لا. . لا أدري كيف أصبح الكفن بهذا السواد!

قالها أحد الواقفين بحيرةٍ وهو ينظر، فاقتربت تلك السيدة مع زوجها وهي تقول بألم:

- آسفةٌ يا بني، لم نستطع الاعتناء بكفنك جيدًا.

ربت زوجها على كتفها وهو يقول:

- ربما كان الصندوق متسخًا قبل أن نضعه فيه!

هنا ظهر الضيق على وجه الشيخ ذو اللحية وهو يقول:

- إِذَنْ لابد لنا من دفنه الآن. . رائحته باتت لا تطاق!

وبالفعل كان الجميع أصلًا يضع يده على فمه من نتانة تلك الرائحة، وبرغم حنق الأهل من تلك الكلمة إلا أنهم وجدوه محقًا، فابتعدوا عنه ليدفنوه

ونزل الأب معهم ليساعدهم في حمله لكنها لم تتحرك، نعم الجثة لم ترد التحرك مع كل تلك الجهود المبذولة، ظلت ثابتة محلها، وأصبح هذا السواد حول الكفن يزداد شيئًا فشيئًا بطريقةٍ مريعة، يصاحب هذا السواد رائحةٌ كريهةٌ، وبدأ الكثير من الناس في المغادرة لأن الرائحة باتت أقوى من ذي قبل حتى لم يعد من الأهل إلا الأم والأب والشيخ ظل في محاولاتٍ مستميتةً لتحريكه حتى استطاعوا في النهاية دفعه فانكبت الجثة على بطنها. .

ولم يجرؤ أحدهم حينئذٍ على النزولِ معها لتعديل وضعيتها، حتى حين أصبح الكفن بكامله أسود اللون لم ينظروا، وإنما أخذوا يلقون بالرمال عليها ليتخلصوا من قذارة رائحتها وظلت الأم تراقبهم بصمتٍ وقد تحجرت الدموع في مآقيها. .

من الجدير بالذكر أن تلك الجثة قد اختفت في الرمال قبل أن تُدفن كاملةً! أي أنها جُذبت للأسفل فمن غير المعقول أن يغطي جثته هذا القدر الصغير من التراب!

حين انتهى الجميع من عمله أخذ الجميع ينصرف بسرعةٍ وكأنه يركض، حتى إن الرجل قال لزوجته باشمئزازٍ وهو يذهب:

- ليتنا ما تبنيناه سلمى!

نظرت له بإرهاقٍ وأجابته باختناق:

- أعلم ما سبب تلك الخاتمة اللعينة.

- ما هي؟

- دخلت عليه منذ عدة أيامٍ وكان. .

صمتت فاستحثها بقوله بجدية:

- وكان ماذا ها؟

نكست رأسها وهي تجيبه بحزن:
- كان يمارس السحر الأسود!

●●●●●●●

١٢

أمرٌ ما غير مسار عينيه لينظر لها متسع العينين وكأنما يتذكر شيئًا ما. .
- (هورتِن)!
نظرت له (هورتِن) في هدوءٍ ولم تجبه، فسار إليها بسرعةٍ وبدأ يتحدث بجدية:
- أما تذكرين المِفتاح الذي أخضرتيه من قرن الثور المُحنط؟
أنا لم أسألك حتى عليه، أعلم أنكِ تكرهين الفضول ولكن. .
قاطعته وهي تخرج ذاك المفتاح من جيب وشاحها بهدوء:
- هذا المفتاح يا (دينياس) لا يفتح بابًا للخروج من هنا، بل يفتح أمرًا أخطر من ذلك بكثير.
قتمت عيناه وهو يسألها باستنكار:
- وما الأهم من الحياة بالنسبة لكِ؟!
- الكثير. .
قالتها وهي تقف ثم تابعت بصوتٍ به نبرة من الغموض وهو يرقبها بصمتٍ:
- منذ سنواتٍ عديدة كان هناك قلادةٌ مسحورة، هذه القلادة يا (دينياس) تعطي القدرة لمالكها في فعل أي شيء. .
لكنه سيقدم في المقابل تضحياتٍ لكل من سكنت روحه تلك القلادة من الجان. .
وقف هو مهتمًا بحديثها وسار إليها متسائلا بجدية وقد ظهر في عينيه وهجٌ عجيب:
- و. . ولِمَ لم تحضريها حتى الآن؟!

نظرت له نظرةً حادةً وهي تجيب:
- لأنني فكرت حين رأيت الموت أمامي أنه أفضل خيارٍ لنا. . الموت، فأنا لا أستحق تلك القلادة، سأدمر وأخرب بها، لا يستطيع عقلي التوقف عن الشر يا (دينياس)، وأفعالي كلها مرهونة بالشر، أنت رأيتني أفعل القليل فقط لكني فعلت أبشع من ذلك بكثيرٍ في غيابك. .
يجب أن أموت.
صرخ بها غاضبًا فجأةً:
- إن أردتِ الموت فموتي ولكن ما ذنبي أنا؟ لم أُقدم يومًا على فِعل أمرٍ إلا ما أمرتني به أنتِ، أي أن كل بذور الشر منكِ وأنا كنت الفرع نِتاج ما زُرعتُ منه!
فتحت يدها ونظرت إلى هذا المفتاح. .
- هل تعلمين أين تلك القلادة؟
أخذت نفسًا ونظرت للأسفل ولم تجبه. .
وكأن الموت قد فتح لها مصرعيه يجرها إليه جرًا، وهي مستسلمةٌ كألم تستسلم يومًا. .
آلموت مغرٍ لهذا الحد؟ أم إنها لم تجد من هو أشد إغراءً منه!!!
- هـــورتن. . أجيبـــي!
ولا حياة لمن تنادي.

•••••••

الفصل الثاني:

١٣

- يا سيدي. . تلك القضية استنفذت منا عقولًا كثيرةً جدًا ولم، ولن تُحل!
- أطالبك حضرة المحقق بالتوقف عن التحقيق في تلك القضية التي أزهقت أرواح الكثيرين في سبيل البحث عن حقيقتها.
- أوقف التحقيق فيها. . !!
- أوقف التحقيق. . أوقفه.

كان هناك هذا الرجل الذي يقف في المنتصف بين كل هؤلاء الناس، يضع يده على أُذنه بقوةٍ ويغمض عينيه قائلًا بانفعال:

- اصمتوا جميعًا. . توقفوا. . توقفوا.

وكلما صرخ أكثر ازداد هُتاف كل من حوله أكثر، إلى أن. . .

●●●●●●●

مدينة -بلانيكو- في فرنسا
الرابع من كانون الأول عام ١٩٩١م

- قلت لكم توقفوا!!!

استيقظ هذا الرجل من نومه مفزوعًا وهو يرددها، فاستيقظت زوجته ونظرت له وهو يتصبب عرقًا وعيناه لازالتا متسعتين، وبدأت تتحدث بقلق:

- هل أنت بخير، ماذا بك؟

نظر لها لثوانٍ قبل أن يجيب بنبرةٍ مختنقة:

- لا شيء. . لا تتعبي نفسكِ واخلدي للنوم.

ثم أبعد أنظاره عنها وقام من فراشه بهدوءٍ خارجًا من الغرفة بأسرها، واحتل مقعدًا وثيرًا في غرفة الصالون. . .

جلس وبدأت رأسه تعمل في أمورٍ عدة، وقد تبلورت أفكاره حول هذا الحلم المزعج الذي كان. . .

فجأةً وجد من يتحدث خلفه بنبرةٍ خافتةٍ ممتزجة بالأسف والحزن:

- أنا أتفهم حزنك وغضبك الشديد عليَّ بسبب أخطائي التي كَثُرت في الآونة الأخيرة. . وأعلم كذلك أن الاعتذار لا يكفي لتعويضك، لكني قد اعتدت أن أستمع إليك في أي وقتٍ حدث وتألمتَ فيه كما تفعل أنت معي دومًا. . .

أعلم أنك لست مرتاحًا وهناك ما يؤرقك. . لكن أن أتخيل أن أكون أنا أحد تلك الأسباب. . يجعلني أكره نفسي كثيرًا (لؤي). .

رفع رأسه وأهداها ابتسامةً غير متكلفة، ثم تحدث بجدية:

- أيتها المجنونة، من أنا لكي لا أسامحكِ في يومين كاملين، حبيبتي لقد سامحتكِ في نفس اللحظة التي أخطأتِ فيها. . سامحتكِ حين رأيت نظراتكِ النادمة.

نزلت لمستواه وهو جالسٌ لتنظر في عينيه قائلةً وقد بدأت دموعها تنهمر:

- لكنك تتعامل معي من وقتها بـ. . بطريقةٍ جافة! وأنا. . .

ظهر الحنان على ملامحه وهو يبتسم لها. .

- أنا لا أقصد صدقيني. . الأمر برمته أن القضية الجديدة تشغلني، وتجعلني مضطربًا طوال الوقت. . والجميع ينصحني بعدم التحقيق فيها وأنا مُصرٌ عليها.

مسحت دموعها وهي تتساءل باهتمام:

- عمَّ تتحدث تلك القضية؟

تصدرت نظراتٌ غامضةٌ عينيه وهو يجيب بجدية:
- مر على تلك القضية عام، وتقول أن شخصين من المشاهير بالأحرى رجلٌ وامرأة اختفيا تمامًا فجأةً، وبعد أربعة أشهرٍ عُثر على الرجل بجانب إحدى المقابر يقرأ التعاويذ! حينها طُرد منها بالقوة، ثم تبنته أسرةٌ غنية وبرغم كبره إلا أنها تبنته ككفالة أي تنفق عليه حين وجدته بحالةٍ رثة أمام أحد المطاعم فأشفقت عليه تلك الأسرة، ثم مات بعد ثمانية أشهرٍ من هذا!
وقالت الأسرة التي تبنته أنهم كانوا حين يدخلون عليه يجدونه يُحضِّر التعاويذ أو يقرأ اشياءًا عجيبة!
نظرت له زوجته بصدمةٍ وسألته بتوجس:
- أنت لن تحقق في تلك القضية وتمزح معي أليس كذلك؟
ضحك هو على طريقتها وأجابها بنبرةٍ تخلو إلا من اليقين:
- أنا حققت في كثيرٍ من تلك القضايا من قبل، حين يريد المجرم التستر على القضية يضعها في إطار الأمور الغيبية.
- وماذا إن كان. .
- لن يكون بإذن اللَّه، فقط أريد منكِ الدعم الذي لم يُمثله أحدهم لي منذ وقتٍ طويل.
أجابته بابتسامةٍ صافية:
- أنا معك دائمًا (لؤي) متى احتجتني سأكون هنا إلى جانبك.
أومأ رأسه لها ولازالت بسمته متصدرة وهو يقول:
- لا حرمني اللَّه منكِ حبيبتي.
ثم وقف فوقفت هي أيضًا وظلت تتابعه وهو يذهب نحو مكتبه ليباشر التحقيق، بعد أن سمعته يقول لها:

- هيا اذهبي ونامي الآن وأنا سأباشر التحقيق حتى أشعر بالنعاس
سألته بجدية:
- أواثقٌ أنك لا تريد مني أي شيء؟
وقبل أن يجيب تابعت بسرعة:
- سأصنع لك مشروبًا ساخنًا.
ثم ذهبت لتصنعه، فنظر لها وهي تذهب وهز رأسه ضاحكًا على جنونها. .
هو أراد جنونًا مشابهًا طوال عمره. . وقد حصل عليه أخيرًا.

●●●●●●●

١٤

جاءت هي بتلك الصينية الصغيرة التي عليها كوبان من الشاي، ثم وضعتها على الطاولة الجالس هو عليها، ثم نظرت له بهدوءٍ وهي تقول:

- ها هو الشاي، أريدك أن تشربه لتركز جيدًا.

لم ينتبه لها وظل ينظر في الورق أمامه، فاستعجبت و. .

- (لؤي). . (لؤي)!

انتبه إليها ونظر لها متسائلًا:

- مـ . ماذا؟

- فيمَ أنت منشغلٌ إلى تلك الدرجة؟

سألته بجدية فأخذ نفسًا عميقًا وهو يشرح:

- انظري إلى تلك الورقة وسأشرح لكِ ربما نستنتج معًا.

جذبت هي أحد المقاعد وجلست بجانبه، فاستطرد هو بهدوء:

- أولًا أتذكرين تلك القضية التي ظللت أحقق فيها عامين ولم أصل لحل؟

- أتقصد قضية اختفاء الجثث من المقابر؟

- بلى، بدأت هذه الظاهرة في عام ١٩٨٠وانتهت في عام ١٩٩٠ أي قبل عامٍ واحدٍ فقط لم يعد هناك أي شكوى عن اختفاء أي جثة، وبدأت أنا في التحقيق في عام ١٩٨٨ وتوقفت عنها حين لم أجد أي تفسيرٍ منطقي للأمر! الأمر العجيب الذي اكتشفته بالصدفة الآن أن الشخصين نفسهما اختفيا في نفس التوقيت الذي توقفت فيه سرقة الجثث من المقابر وبالأخص الجماجم!

نظرت له بجدية وهي تسأله:
- ولكن ما الرابط بينهما وبين حادث اختفاء الجماجم، ولمَ يسرقونها أصلًا؟
- انظري، الأمر متعلقٌ بسمعتهما، أولًا هذا الشخص الذي وجد وتم تبنيه كان يمارس السحر كما قيل، فـ .
- ربما كانت الجثث كقرابين يقدمها للجان، أتقصد هذا؟
أومأ رأسه فأجابته بانفعال:
- لكنك قلت لي ألا شيء من هذا القبيل و. .
أجابها بنبرةٍ مطمئنة:
- هذه لا تزال افتراضات.
- وربما تكون حقيقة. . !
- وحتى لو كانت حقيقة حبيبتي، أنا لا أفعل شيئًا يغضب اللّه عز وجل، لذلك لن أخاف أبدًا.
- ولكني أخاف عليك!
- لا تخافي لن ألقي بنفسي للتهلكة، ثم إنني مُصرٌ على الوصول إلى نتيجةٍ مقبولة، فرأسي سينفجر كلما تخيلت أنهما اختفيا ثم عاد أحدهما ولم يعلم أحدهما أين الآخر. .
وقد قدمت الكثير من البلاغات عن اختفائها، والشرطة منذ عامٍ كامل تبحث عنها! وليس هناك أي دليلٍ حتى!
والأعجب من هذا كله أننا لم نجد منزلها أبدًا
قطّبت حاجبيها وهي تسأله بدهشة:
- كيف، ألم تقل أنها مشهورة؟
- نعم لكن لا أحد ذهب لمنزلها من قبل، كانت هي تذهب إليهم مع

الشخص الآخر المُختفي! لكن لم تسمح لأحدٍ من قبل بزيارتها!
أومأت رأسها وهي تتحدث:
- يبدو أن تلك القضية ليست مجرد قضية عادية.
وضع يده في شعره وهو ينظر إلى تلك الجرائد أمامه ويجيب:
- نعم، بالفعل. . المشكلة أنني لا أجد عنهما أي معلوماتٍ ولا أفهم أي شهرةٍ هذه التي تمتعا بها في ظل هذا الغموض!

●●●●●●●

١٥

فُتح الباب على ذاك الرجل الذي يرتدي الخواتم في جميع أصابعه، ودلف إليه رجلٌ يجر ما يقرب من ثلاثين فتاةً مكبلةً، ومعه رجلان يدفعان تلك الفتيات للتقدم أمام ذلك الرجل حتى وقعوا جميعًا أمامه، فتساءل هذا الرجل بهدوءٍ وهو ينظر بإعجابٍ لتلك الفتيات:

- من هن؟

أجاب هذا الرجل الذي دخل بهن:

- سيدي، هذه إمائي، أحضرتهم لك كهدية، افعل بهن ما شئت.

رفع ذلك الرجل حاجبيه متسائلًا بدهاء:

- وما المقابل؟

أجابه وهو يدعي الإحراج:

- فقط بضع دنانير قليلة.

ضحك ذو الخواتم وأشار لأحد خدامه، فذهب وأحضر له صندوقًا كبيرًا من الذهب، حينها استلمه الرجل بسعادةٍ وذهب وهو يقول:

- شكرًا لك سيدي، أنت سخيٌ جدًا.

نظرت إحدى تلك الفتيات له وهو يذهب بقرف، وهي تردف بخفوت:

- أتمنى أن تزول أملاكك عن آخرها أيها الظالم.

●●●●●●●

حين خرج الرجل وتبعه الرجلان سأله أحدهم بجدية:

- ماذا سيفعل بكل تلك الفيات يا رجل، فلقد سمعت أن سيفه أقرب من

يديه للعنق لمن يجرب فقط أن يقول له لا؟!
استطرد الأخير قائلًا:
- نعم لقد أهلك العديد من العبيد والإماء وألقى بهم في الحجرة التي بناها تحت الأرض، فتلك الحجرة يفتح الجنود بابها ويضعون العبيد فيها ثم يُغلق الباب وحده بسرعة، ولا يفتح إلا بعد سنة يكون العبيد فيها قد أصبحوا عظمًا!
- كما أنني علمت أن تلك الحجرة مكونة من شقين، أحدهما لاحتجاز العبيد والذي لا يُفتح بابها أبدًا كما ذكرتَ، الشق الثاني يحتجز فيه جنوده الذين يعصونه. .
- نعم هل سمعت عن الرجل الذي قُدم وليمةً للأسد؟
أجاب الأخير الذي معه المال وهو يضم الصندوق قائلًا:
- لا يهمني ما يفعل أنا فقط أردت المال مقابل إمائي.
قال الآخران معًا في نفسٍ واحد بجدية:
- لا بأس لكن أعطنا حصتنا الآن.

●●●●●●●

١٦

- هل أنت واثقٌ من هذا؟

سأل (لؤي) بانفعالٍ فأجابه الرجل الذي يقف أمامه بجدية:

- نعم، لقد أثبتت التحريات أن زياراتها لتلك المنازل كانت تتكرر باستمرار، فقد قال شهودٌ عيان أن (روجيك) كان من غير الممكن أن يبدأ عرضه دون مقابلتها، وكانت تأتيه دائمًا هي وذلك ومن يتبعها باستمرار، وفي الغالب يكون معها شيءٌ ما!

- ما ذاك الشيء؟

- لا نعلم بعد يا سيدي، كل الأشخاص الذين كانوا يستضيفونها باستمرار معك في تلك الورقة.

- إِذَنْ لماذا يقال عليها مشهورة إذا كانت كل لقاءاتها في الخفاء؟

- لأن الجميع يعرفها، وحين اختفت نشر ذلك في الصحف ونقل بين الناس بسرعة.

- هل كانت محبوبة؟

- أنا لا أدري، لكن تكوَّن لدي شعورٌ دومًا أن ما يربطهم ببعضهم فقط المصالح، ومع ذلك لم نجد لها عدوًا، ولم نجد جثتها أو أي شيء يدل عليها أحية كانت أم ميتة!

- إِذَنْ لماذا لم تفكروا في أن الشخص الذي كان يرافقها دائمًا كان سبب اختفائها؟

وقف الرجل الآخر لثوانٍ يفكر قبل أن يتحدث بهدوء:

- الأمر أنك تجدهم دائمًا مشتركين في كل شيءٍ سويًا، ولم يحدث بينهم أي

نزاع. . والأمر الأهم أنه حين ظهر من جديد كان مجنونًا تمامًا، فقد كانت أفعاله لا تقول غير هذا!

أخذ (لؤي) نفسًا وهو ينظر حوله مفكرًا قائلًا:

- أشكرك على تلك المعلومات (سامح) ستفيدني، كما أنني لن أقول لك مرةً أخرى ألا تناديني بسيدي فنحن أصدقاء منذ الصغر.

ابتسم له (سامح) بمودةٍ وأجاب:

- على الرحب والسعة صديقي، لا بأس حتى أنا اختنقت من تلك الرسمية في الحديث. .

صمت قليلًا وأخذ يراقبه بتمهلٍ قبل أن يردف:

- إِذَنْ هل يمكنني أن أسألك سؤالًا؟

- تفضل (سامح).

- لماذا تلك القضية بالذات؟

- لأنني أعلم أنها ليست قضيةً عادية، بل هي تربط الكثير من الخيوط ببعضها لذلك حرصت على التحقيق فيها.

ابتسم له (سامح) ومد يده له ليسلم عليه وهو يتحدث بهدوء:

- حظًا موفقًا لك، وإن علمت أي شيءٍ جديد قد يفيدك في تلك القضية لن أتخاذل معك.

بادله (لؤي) تلك الإبتسامة والسلام حتى غادر مكتبه، حينها وقف (لؤي) وهي يقول بحسم:

- سأذهب إلى (روجيك) لأعلم ما كان يدور بينهما، ربما أفادني. .

●●●●●●●

١٧

أخذ هذا الرجل نفسًا عميقًا من السيجارة التي في يده، وقد كان النفس الأخير فيها حيث قام بإطفائها بعدها بهدوءٍ وهو ينظر إليه بابتسامةٍ شاردةٍ وبدأ يتحدث:

- ستضيع وقتك معي سيد (لؤي)، فإن المعلومات التي أعرفها عنها لن تفيدك، بل على العكس. . هي لا تخصك في شيء.

رفع (لؤي) حاجبيه ناظرًا إليه باستنكارٍ متسائلًا بجدية:

- وهل حددت أم عممت نوع المعلومات التي أريدها عنها؟

استرخى ذلك الرجل وهو يجيب بنبرةٍ متزنة:

- لا بأس. .

معرفتي بها لم تكن سطحيةً أبدًا -كما قُلتَ في البداية- فقد كانت بمثابة الإلهام لي في أي عملٍ أقوم به على المسرح. .

كانت تؤمن بالتجديد. . . ومن هنا آمنت أنا به!

لم أكن أستطيع بدء العرض إلا بعد رؤيتها، لذلك وببساطة تقاعدت بمجرد اختفائها.

أصيب (لؤي) بالشَّده وهو يستمع إليه حتى إذا ما صمت سأله بحذر:

- أكنت تحبها؟

ضحك، ثم دمعت عيناه ألمًا، ثم عاد ليضحك، ثم صمت واشتكى:

- كنت، ولازلت، ولم تكن ولم تفعل يومًا. . في الحقيقة أيها المحقق لم تكن كغيرها، كانت فريدةً. . فريدةً كما كسوف الشمس إذا ما رأيته انجذبت وإلم تكن محبًا للطبيعة!

أجابه (لؤي) متفهمًا:
- أنا أتفهم وضعك، فلم تكن الوحيد من بينهم الذي أَحبها، فقد شعرت أنها كانت تهيم على قلوبهم أجمعين. .
- نعم سيد (لؤي) فقد كانت بالنسبة لنا سرًا غامضًا، لطالما سعينا لكشفه ولم نستطع، وكنا نقع في شباكها دون أن ندري. .
- كيف؟ لا أفهمك!
- كانت تتخفى تحت غطاء الليل فلا نراها، لم أذهب يومًا إلى منزلها. . ولم تسمح لأحدٍ قط أن يزورها.
تحب الأسود، وتتشح دائمًا بوشاحٍ أسود، تنظر إليك بنظرة حادة كطيرٍ جارح آذيت صغيره حال وضعه. .
ولم أرَ ابتسامتها إلا مرةً واحدةً فقط، كان يومًا تاريخيًا لدرجة أن (ليو) قد رسمها معتمدًا على ذاكرته فقط.
- ألهذه الدرجة انطبعت ابتسامتها في مخيلته!
- كان (ليو) رسامًا ماهرًا، وكانت ابتسامتها أجدر من أن تنسى. .
- وأين كنتم ترونها باستمرار؟
- في الحفلات الضخمة جدًا، فلم تكن تترك أي حفلةٍ سوف يُذاع خبرها في الجرائد إلا وحضرتها.
- لماذا؟
- لأنها كانت تهتم بالتعرف على أكبر قدرٍ من المشاهير، هذا ما فهمته بعد العديد من الحفلات التي حضرتها.
- لماذا تهتم بهذا إن كانت انطوائيةً لتلك الدرجة، بل وكيف كانت تنخرط مع المشاهير إلم تفعل ما يجعلها منهم، أنا لست مقتنعًا ولا أفهم!

- المصالح سيد (لؤي). .
كانت دائمًا تحضر لنا الأشياء التي من الصعب جدًا الحصول عليها.
نظر له في شكٍ وبدأ يتراجع بجسده للخلف قليلًا وهو يتحدث:
- لكن أنا أعلم أن ما كان يجمع بينكم أكثر من علاقاتٍ بسيطة، لذلك فأنت لم تتحدث بكل ما لديك بعد.
أخذ الرجل نفسًا عميقًا وأجاب بهدوء:
- (هورتِن) كانت تحضر لي ما أحتاج إليه في عرضي كساحر.
- مثل. . ؟
- بعض التعاويذ، والأفكار. . والأهم من ذلك كله أعطتني المومياء شيزون.
سأله (لؤي) بجدية:
- أليست تلك المومياء هي التي كانت في العرض الأخير لك، والذي قدم بلاغ ضدك فيه أنك. .
ضحك كلاهما فجأةً وتابع عنه الساحر:
- نعم قيل عني أنني جعلت المومياء خاصتي تأكل قدم الفتاة الصغيرة.
- نعم ثم تبين أنها بخيرٍ وأنها تعمل معك.
- كيف فعلتها؟
- آسف، الساحر لا يكشف عن خدعه أبدًا. .
تحولت نظرات (لؤي) إلى الصرامة فجأةً وبدأ يقول:
- أنا أثق أن تلك المومياء التي أهدتها لك حقيقية (روجيك)، فما أعرفه عنها يجعلني على يقينٍ أنها لا تهدي لعبًا!
ابتسم (روجيك) له ابتسامةً ماكرةً وهو يسأله:
- ومن قال أنها لعبة؟

تلك المومياء سيد (لؤي) حقيقية تمامًا، وقد أُحضرتها لي بناءً على طلبٍ مني.

اتسعت عيناه، وقد أخذ يردد بصدمة:

- مـ . ماذا كيف تفعلون هذا؟

- سيد (لؤي) أنا أتذكر أنك طلبت مني البوح بما لدي بصدقٍ وأنا فعلت لأنني مثلكم أريد أن أعلم أين هي، وهل هي على قيد الحياة أم لا، ولم نتفق أبدًا أن تحاسبني على ما كنت أفعله.

زفر وسأله باختناق:

- وأين هي تلك المومياء الآن. . ؟

أجابه بهدوءٍ وهو يشعل سيجارةً أخرى:

- دفنتها في إحدى المقابر البعيدة بعد أن تقاعدت. .

لم يبدُ عليه الصدق، ولم يصدقه (لؤي) أبدًا لكنها ليست قضيته فتهريب المومياوات من مصرٍ إلى فرنسا قضية مصر لا فرنسا!

•••••••

١٨

- قلت لكِ لا أريد يا (صبا).
تلك هي الجملة التي صرخ بها (لؤي) وهي تُلح عليه أن يأكل أي شيءٍ.
وقد جعلها صراخه تتراجع للخلف خطوتان في اضطرابٍ، ثم استدارت وكادت أن تذهب إلا أنه أمسك بيدها برفقٍ وقال بصوتٍ مضطربٍ مختنق:
- أنا حقًا أعتذر. . لم أقصد وأعرف أنكِ فقط تريدين أن آكل إلا أنني غيـ .
استدارت له بابتسامةٍ حانية، مع أن الدموع كانت تتلألأ في عينيها، وأجابته بخفوت:
- لست بحاجة لتبرير أنا هي الآسفة لأنني ضغطت عليك، أنا فقط أشعر بالقلق حيالك فأنت لم تأكل منذ يومين.
أخذ نفسًا هادئًا لائمًا نفسه على صراخه عليها. . ما الخطأ الذي ارتكبته! ألا يكفيه كونها تحملته لشهرٍ كاملٍ وهو بنفس ذاك الوضع.
- (صبا) أنا أعلم أن العمل قد أخذني بعيدًا عنكِ هذه الفترة، وأنا أعلم أنكِ تحتاجين للترفيه بقدر ما أنا بحاجة للراحة من ذلك العمل و لكن. .
قاطعته هي بهدوءٍ متابعةً برغم ما بدا عليها من ضيق:
- ولكن هذه القضية معقدة جدًا ولا أستطيع الاسترخاء قبل أن أحل كل ألغازها.
تخللت أصابعه خصلات شعره وهو يضحك متسائلًا بخفة:
- يبدو أنكِ سمعتيها مني مرارًا. . لكن لا بأس، سأفي بوعدي لكِ هذه المرة. . هيا اذهبي وارتدي ثيابكِ سنخرج. .
ابتسمت له ابتسامةً لم يرها منذ الكثير من الوقت، وبدون أن تنطق بحرفٍ

قبلت رأسه وذهبت لترتدي ثيابها.
فيما جلس هو على الأريكة التي خلفه وظل ينظر لها باسمًا وهي تبتعد عن أنظاره كما تتحرك الزهرة حين يدللها النسيم. .
كان يحتفظ بها في ذاكرته، يحتفظ بها وكأنها كتابٌ تم حفره بين ضلوع قلبه وأنسجة جسده. .
يحفظ عن ظهر قلب كل ما تفعله وفعلته وستفعله في أي موقفٍ يحدث، يعلم تعابير وجهها الحزينة حتى ولو وجدت ألف ابتسامةٍ خلفها تواريها.
هي لم تكن له الزوجة بقدر ما كانت الأهل بأكملهم، أمٌ وأبٌ وأختٌ وزوجةٌ، دفءٌ، وحنانٌ بقدر ما لا عقل يصدقه. .
يتذكر يوم رآها أول مرةٍ وكأنها البارحة، كانت تقف أمام تاجرٍ يبيع الزهور، نظرت للزهور بابتسامةٍ ولم تشترِ أيًا منهم، بل غادرت هي وابتسامتها التي لم يكن من قبل قد رأى ما هو أنقى منها. . .
كانت تتردد كثيرًا أمام ذلك متجر الزهور ذاك، وقد لاحظ دائمًا أنها تنظر للزهور البيضاء بالأخص. . تاجر الزهور هذا كان قريبًا من منزله لذلك فكانت كلما مرت من هناك رآها، بعد زواجهما سألها عن عدم شرائها لتلك الزهور فأجابته إجابةً عجيبة. . -الزهور خُلقت بجمالها هذا لتهدى، ولا يمكن لي أن أُهديها لنفسي-
يتذكر بعدها أنه جعل حديقته جزءا كبيرا منها للورد الأبيض مختلف الأنواع. . ثم بات يهديه لها كلما سنحت الفرصة.
أثارت تلك الذكريات رغبته في الضحك، فضحك قليلًا. .
- (لؤي) هل جننت يا عزيزي؟
انتبه لها فجأةً وهي أمامه، فابتسم وأجاب بهدوء:

- وهل خلا العقل إلا من المتزوجين؟
ضيقت عيناها متوعدةً له فتراجع وهو يقول مازحًا:
- أنتِ تعلمين أنني أمزح، لا تنظري لي هكذا فأنا أخاف.
عقدت يدها بابتسامةٍ ماكرة وهي تجيب:
- حسنًا سأسامحك هذه المرة فقط، لكن بشرط.
أجابها ضاحكًا:
- إنا مسمتعون.
- نذهب حيثما أريد.
- حسنًا أين تريدين الذهاب؟
- أممم. . إلى مقهى آلبرت جورتن أحب المكان هناك. .
من الجدير بالذكر أنه بعد خروجهما وذهابهما للمقهى سويًا كانت هي الوحيدة التي ترتدي حجابًا، بينما بقية النسوة لم يُستطع تفسير ما يرتدونه، ربما يعود السبب لأنهم لا يرتدون شيئًا تقريبًا أو أي شيءٍ آخر. .
حين تنظر إلى ملامح وجه (لؤي) تعلم أنه كان بحاجةٍ ماسةٍ للخروج من ضغط العمل لبعض الوقت، كان كلاهما يحتاج للترفيه قليلًا. .
فجأةً تحولت أنظار (لؤي) لشخصٍ ما أمام عينيه، وأخذ هذا الشخص يقترب إلى أن وقف بجانبه، فوقف (لؤي) ليصافحه مبتسمًا بهدوءٍ قائلًا:
- سيد كوهيلر كيف حالك؟
بادله الرجل ابتسامةً متزنةً وأجاب:
- بخير. . من الجيد أنني رأيتك أيها المحقق فقد أردت إخبارك أن سليم الذي كان يساعدنا في التحقيق قد قُتل ليلة أمس.
اتسعت عيناه في صدمةٍ وهو يقول:

- مـ . . ماذا!!
- يا سيد (لؤي) كل من ساندك في تلك القضية توفي مثل آليكس، ودونتر، ودوراسنديل، بالإضافة إلى سليم، وعبد اللَّه. .
ومؤخرًا تعرض عثمان إلى حادثٍ كاد يقتله لكنه نجا بأعجوبة.
أتمنى منك أن تعيد النظر في تلك القضية من جديد.
ثم انصرف وتركه في حالةٍ يرثى لها. .
وقفت (صبا) إلى جانبه وأمسكت يده محاولةً التخفيف عنه. .
- كنت أنا السبب يا صبا، أنا سبب موتهم.
نظرت له بقوةٍ وأجابته:
- إن اللَّه سبحانه وتعالى يعطي لكل شخصٍ عمره فقط الذي سيعيشه لا أكثر، وهنا انتهت حياتهم فما ذنبك أنت؟
ثم إنك قلت في البداية أن من لا يغضب اللَّه فلن يضره اللَّه أبدًا، وأنت فقط تفعل كل هذا لأجل الوصول إلى حقيقة الأمر، هذا عملك.
زاغت عيناه وهو يجيب بحزن:
- كيف يـ .
في هذه اللحظة سمع صوتًا قويًا لرصاصةٍ تخترق زجاج هذا المقهى لتصل لجسد أحدهم، فشعر بالهلع على زوجته، ونظر لها ليحميها. . وإذا به يجدها هي من تلقت تلك الرصاصة القوية.
اتسعت عيناه في هلعٍ وصدمة وهو يصرخ:
- (صبا). . (صبـــا) استفيقي.
وهي تنظر له وتقول مبتسمةً بحنان وبصوتٍ متقطع:
- لا تترك تلك القضة أبدًا، أثق أنك ستصل إلى الحقيقة يا (لؤي).

(لؤي). . لـؤي. . يا لــؤي.
فتح عينيه فجأةً ليجد أنه لا يزال جالسًا على الأريكة، ظل ينظر حوله بصدمةٍ ووضعت (صبا) يدها على وجهه متسائلةً بقلق:
- لمَ تتصبب عرقًا، هل أنت بخيرٍ (لؤي)؟
استقرت عيناه على وجهها، وأخذ ينظر لها وكأنه لم يرها منذ زمنٍ بعيد. .
ابتسمت له برفق وهي تتساءل:
- بمَ حلمت؟
وقف بهدوءٍ وحاول أن يبتسم لها رغم كل الخوف الذي بداخله. .
- كان كابوسًا مريعًا يا صبا، من يوم بدأت تلك القضية وأنا أحلم أن جميع من يعمل بها سواءً صديقٌ لي يساعدني أو آخر يجمع المعلومات يُقتل بالأخص بعد أن مات كوهيلر.
- لكنه مات في حادثٍ عابر بسبب قيادته المتهورة!
- أعلم لكني أفكر جديًا بأن أوقف التحقيق بها، لقد اكتفيت.
نظرت له بجدية وسألته بهدوء:
- لقد رأيت في المنام أن ضررًا أصابني أليس كذلك؟
نظر لها لبعض الوقت دون حديث، ثم أخذ نفسًا عميقًا، لقد بدا عليه الاختناق بالفعل.
- (لؤي) إني أتمنى بالفعل أن تغلق تلك القضية نهائيًا، لكن ليس بتلك الطريقة، أنا اعتدت منك ألا تترك طرف الخيط يفلت وأن تتمسك بكل دليلٍ حتى تصل إلى الحقيقة مهما تعقد الأمر. .
- لكن تلك القضية مختلفة.
- وماذا في الأمر.

ثم ابتسمت مشجعةً له وهي تتابع:
- أعرفك. . تحب التجديد.
ثم وقفت خلفه ودفعته قليلًا وهي تقول محتجة:
- ثم لا تعتقد أن هذا الذي تفعله سيوقف خطتنا الترفيهية.
ضحك على طريقتها في دفعه، ثم أوقفها بجانبه ووضع يده على رأسها وهو يقول:
- لا تقلقي سنذهب. .
ثم خرجا بالفعل مبتعدين عن كل هذا، لكنه قال لها قبل الذهاب:
- لكننا لن نذهب لأي مقهى، أنا سأختار لكِ مكانًا آخر تحبيه. . .

●●●●●●●

١٩

كان جالسًا على مكتبه يتطلع إلى تلك الأوراق والصحف التي أمامه وقد بدا عليه الحيرة وهو يتحدث بشرود:

- كيف كانت دائرة معارفها أوسع من دائرة معارف أشهر شخصية في هذا البلد، وفي نفس الوقت لا نملك عنها سوى معلوماتٍ لا تتعدى ميلادها وأشياء سطحية عنها!

ثم نظر في إحدى الصحف إلى صورةٍ لمقبرةٍ يدفن فيها المسيحيين ومكتوبٌ فوقها -سُرقت جماجم ٢٠ جثة كاملة في ظروفٍ غامضة-

كان هذا بتاريخ العاشر من حزيران ١٩٨٣م

ثم جريدة أخرى بها صورٌ أخرى لمقابر لليهود في نفس المدينة ومكتوبٌ فوقها -سرقة ٣ هياكل كاملة، و ٥ جماجمٍ في ظروف غامضة-

كان هذا الخبر بتاريخ السادس من كانون الأول ١٩٨٥م

وغيرها، وغيرها، وغيرها من السرقات التي تكررت في نفس العام أو أعوامٍ مختلفة، ثم في الثاني من كانون الأول ١٩٨٧م تم الإبلاغ عن جريمة قتلٍ شنعاء لإحدى السيدات النبيلات، ذكر في الخبر ألم يكن هناك أي أثرٍ لقاتلها. . إلا أن هناك امرأةً تقول أنها رأت أحدهم يهرب من نافذة بيت القتيلة، وحين أمعنت النظر وجدت لها شعرًا يخرج من وشاحٍ أسود ترتديه فعلمت أنها امرأة. .

تلك القضية كل من حقق فيها تعرض للقتل بنفس طريقة القتيلة حتى توقف الجميع تمامًا عن فتح ملف تلك القضية.

ترك (لؤي) تلك الجريدة وأمسك بأخرى تتحدث عن نفس الموضوع، لم يجد

فيها معلوماتٍ أخرى وكاد أن يتركها إلا أنه لفت انتباهه آخر سطور ذلك المقال: -كان (دينياس بيرز) وهو شقيق (هورتِن بيرز) الشهيرين بأشباح المساء على علاقة مع المتوفاة، وقد بدا عليه الحزن أثناء حضوره لجنازتها-.
ثم صورة صغيرة له بجانب بعض الرجال. .
ابتسم (لؤي) محدثًا نفسه بجدية:
- وأخيرًا وجدت لهما أثرًا. .
ثم بدأ البحث في تلك الجرائد عن أي معلوماتٍ أخرى عنهما فلم يفلح في الوصول إلى شيء، فقط بعض المعلومات عن مزيدٍ من السرقات للهياكل والجماجم، وجرائم حدثت في نفس العام لكنه استبعد تمامًا صلتها بهما. .
كان بحثه مقتصرًا على الأعوام العشر الأواخر ما قبل الذي يعيشه حاليًا واستمر بحثه لساعاتٍ حتى أنه نسي الطعام وأن ميعاده قد حان للذهاب إلى المنزل، وحين انتبه إلى تأخر الوقت بدأ يضع أشياءه في أماكنها ويستعد للذهاب، ولكن فجأةً بعد أن فتح أحد الأدراج ليضع فيه بعض الورق لفتت انتباهه تلك الورقة التي في داخله، أخرجها وقد قرأ فيها التالي. .
-أنا أبلغ الـ٧٠ حاليًا، لا أهتم بالحياة، ولن أخاف كالذين سبقوني. .
بدأت في تحقيقاتي عن حوادث مدينة بلانيكو العجيبة والتي استمرت فيها سرقة الجثث وهياكلهم بل وجرائم قتلٍ غامضة. .
وعملت على الجمع بين أكبر عدد ممكن من الأسباب والنتائج والجمع بين تلك القضايا من كبيرها لصغيرها، حتى اتضحت بعض الأمور أمامي وقد قسمت بحثي إلى عدة أقسام. .
أولًا: منذ أعوامٍ عرفت البشرية نوعًا جديدًا من المخدرات، وهذا النوع يُصنع من جماجم البشر، وسعره مرتفعٌ جدًا.
إن التركيز بالأخص على الحصول على تلك الجماجم لهو أكبر دليل على الأمر،

فلمَ قد يسرق أحدهم شيئًا إلا إن كان سيدر بالربح عليه!
ثانيًا: إن الشخص الذي يفعل هذا له العديد من العلاقات التي تجعل بيعه يكتسح، فإن إقباله على السرقة كبيرٌ جدًا فأصبحت سرقاته تعادل الـ٤٠٠ جثة في العام الواحد منها ما يقارب ال٣٨٠ جمجمة والباقي الهيكل كله.
ثالثًا: من المستحيل أن يكون وحيدًا في مهمته تلك، لابد وأن يكون هناك أكثر من شخصٍ مشتركٍ في هذا الأمر معه.
رابعًا: إنه لا ينفذ جرائمه بعشوائيةٍ أبدًا فهو يفكر مليًا قبل الإقدام على أي خطوة. .

توقيع:
د. إسلام عادل
بتاريخ:
الثالث من إبريل ١٩٨٦م-.

ترك (لؤي) ذلك التقرير وقد بدا عليه الصدمة، فهو يتذكر أستاذه الراحل (إسلام) والذي كان له الفضل عليه أن أصبح ما هو عليه الآن. .
لكن كيف جاء هذا التقرير إلى هنا!!
يتذكر جيدًا أنه قد قُتل منذ ما يقرب من الـ ٣ سنوات بطريقةٍ غريبة، وفي ظروفٍ غامضة.
وحين لم تجد الشرطة دليلًا واحدًا على تلك الجريمة أشاعوا انتحاره حتى لا تتعكر صورتهم أمام الناسِ بعد سلسلةٍ من الجرائم الغامضة.
صحيحٌ أنه لم يكن محققًا لكنه كان أستاذا بالجامعة التي تخرج منها، وكان الأقرب إلى قلبه، لذلك كان فراقه عليه عسيرًا. .
أغمض (لؤي) عينيه محاولًا التركيز ثم أحضر ورقةً بيضاء كبيرة، وأمسك بالقلم وبدأ يكتب في أعلى الورقة -اختفاء (هورتِن) و (دينياس) ١٩٩٠م-.

ثم وضعها في دائرة وأنزل منها سهمًا كتب في نهايته -سرقة الجماجم منذ عام ١٩٨٠م : ١٩٩٠م-.
ثم سهمٌ آخر من نفس العنوان كتب في نهايته -قتل د. (إسلام عادل) ١٩٨٦-.
ثم سهمٌ آخر ليكتب في نهايته -حدثت جريمة قتلٍ لامرأةٍ على علاقة ب(دينياس) ١٩٨٧م-.
ثم بدأ يُخرج سهمان من السهم الأول، يكتب في أحدهما -سرقة الهياكل-.
والآخر -سرقة الجماجم لصنع المخدرات-.
وكتب بجانب هذين السهمين في دائرة -افتراضات-.
ترك الورقة وأمسك بشعره يجذبه وهو يقول بحيرة:
- هذه ليست صدفة، هناك شيءٌ ما يربط بينهم جميعًا.
وجد الباب يُطرق عليه فقال بهدوء:
- ادخل.
دخلت هي عليه بهدوءٍ وسارت حتى اقتربت من مكتبه فرفع رأسه ينظر لها بإمعان. .
وشاحٌ أسود، نظراتٌ حادة، وجهٌ يظهر من خلاله الغموض. .
إنها هي. . بلى إنها هي.
اتسعت عيناه وتراجع بمقعده للخلف قليلًا. .
رفعت رأسها لتنظر له وهي تقول:
- ماذا بك (لؤي)، أتراك تشعر بالرهبة مني؟
تلعثمت نبرته وهو يجيب باضطراب:
- كـ. . كيف دخلتِ إلى هنا؟
تقدمت قليلًا ثم جلست على مكتبه من الأعلى وهي تتحدث بغموض:

- ألن تسألني ما الذي أريده منك؟
حاول استعادة رباطة جأشه وأخذ نفسًا عميقًا ليسألها بجديه:
- ما الذي تريدينه؟
نزلت هي من على المكتب بسرعةٍ خاطفة، ثم أجابت وفي نظراتها ينطوي الجمود:
- اسمع (لؤي) أنا أحد أبشع كوابيسك، أنا أبشع تلك القضايا التي ستواجهها، فإن نجحت في كشفها فاعلم أنك ستعيش حياةً طبيعية، وإلم تنجح فسيكون مصيرك هنا كمن كان قبلك.
ثم وفجأةً وجد نفسه أمام مشفى الأمراض العقلية، وقد بدأت قدماه تتحركان نحو الداخل ليجد نفسه يعبر الجدار وكأنه شبحٌ ما ثم بدأ يسير في رواق هذا المشفى ليجد نفسه فجأةً أمام رجلٍ ما يبدو مألوفًا له، يجلس ذلك الرجل على فراشه ويكبله رجلان آخران ليتلقى جلسة علاجه بالصاعقة الكهربائية.
ثم ظهرت أمامه من جديد، وقالت بخفوت:
- أنت تعرفه، إنه صديقك (ماك) أعلمت الآن أين اختفى كل هذه المدة؟ ولكن انظر إلى أين أوصله عناده!
وليس بالضروري أن تجد نفسك هنا، ربما تجد نفسك في مكانٍ آخر.
كـ. . هذا. . .
ثم وبدون مقدماتٍ وجد نفسه مرةً أخرى في مكانٍ آخر، في مقبرةٍ عتيقة، تظهر من الخارج كمنزلٍ عادي لكن شيئًا ما أخبره أنه ليس مجرد منزل إنها مقبرة. . بلى إنها كذلك. .
وفجأةً وجد نفسه بداخل هذا المنزل ليتحول كل هذا إلى ظلام ولا يجد أمامه إلا الصخور.

نظر لتلك الواقفة بجانبه وسألها محاولًا إظهار الشجاعة في نبرته:
- أين نحن؟
بدا على نبرتها الهدوء الساخر وهي تجيب:
- في بيتي.
ظل ينظر لها بصدمةٍ وهي تتابع التقدم، وهناك ما يجعله يتبعها حتى مر كل منهما بالكثير من الجثث والهياكل، كانت الرائحة كريهةً جدًا ولكنه ظل صامتًا، هادئًا، خائفًا من أن يرى شيئًا أبشع من ذلك.
-أنا لا ألومك على كرهك لهذا المكان، حتى أنها أكرهه لكني لا أستحق أكثر.
نظرت له فجأةً ليعودا من جديدٍ إلى مكتبه وتابعت بنظرةٍ هائمة:
- اعلم أنك في كل خطوة تخطوها أحدنا يدعمك والثاني يكره تقدمك فاحرص على معرفتنا جيدًا ولا تصدق كل ما تراه أو تسمعه (لؤي). .
تلفت (لؤي) يمينًا ويسارًا ليجدها قد اختفت تمامًا، أخذ ينادي:
- أين أنتِ، أريد أن أسألكِ سؤالًا. .
ثم سمع هذا الصوت المحبب إليه ينادي:
- (لؤي). . يا (لؤي)!

●●●●●●●

- (لؤي)، يا (لؤي)!
بدأ (لؤي) يفتح عيناه لينظر إلى زوجته التي تقف أمامه.
- (صبا)!
ثم أخذ ينظر حوله مليًا ليجد أنه قد غفا على تلك الورقة التي كان يربط بها الأحداث.
نظر لزوجته بانفعالٍ حسيٍ وهو يقول:

- لقد كانت هنا الآن، أين اختفت!
نظرت له (صبا) بتفهمٍ وهي تجيبه:
- كنت تحلم يا (لؤي).
تنفس بهدوءٍ وبدأ يستعيد واقعيته ليسألها:
- متى جئتِ إلى هنا؟
ابتسمت له بمودةٍ وهي تجيب:
- لقد جئتُ منذ قليلٍ حين لم تحضر لتناول غداءك وأنا أعلم أنك لن تتناول الطعام خارج المنزل، فأحضرته لك.
ابتسم لها مبادلًا وهو لا يزال شاردًا فيما رأى، هل جُن من كثرة تحقيقاته هذه الأيام فبات لا يعلم أين الحقيقة من الخيال!
بدأت تتحدث زوجته بجدية فجأةً:
- لا أدري يا (لؤي) هل أنا محقة بدعمي لك في تحقيقك بتلك القضية أم لا؟ لقد بدأت أخاف عليك حقًا.
وضع يده على رأسه من شدة الصداع الذي نزل به فجأةً وقال لها محاولًا التخفيف عنها:
- لا تقلقي حبيبتي، الأمر برمته أنني متعبٌ قليلًا لأنني أعمل منذ وقتٍ طويل.
بدا عليها عدم الاقتناع وهي تسأله:
- إِذَنْ بمن كنت تحلم؟
نظر لها بغموضٍ وهو يتذكر أحداث هذا الحلم وقد بدأ يُسترسل أمامه كشريطٍ سينمائي قبل أن يجيب بخفوت:
- (هورتِن).

الفصل الثالث:

٢٠

العاشر من تموز ١٩٧١م

-يكفي أن تنظر لأبعد نقطةٍ في قمةِ جرفٍ عالٍ، وتقل في هدوءٍ هذا مقصدي.

متي نظرت آخر مرةٍ على صفحاتِ أحلامك المتراصة والتي لم تحقق منها إلا ما لا يُذكر، ثم تضع إصبعك على أشد تلك الأحلام في حاجةٍ أنت إليها وتسعى لتحقيقه!

متى تتوقف في منتصف الطريق تنظر إلى نفسك، وتمعن النظر فتتذكر كم أهملت نفسك، كم أنت مخطئٌ في حقكَ، وقبل أن يؤذيك من حولك. .

أنت آذيت نفسك!-.

كانت تلك الكلمات التي خطتها تلك الفتاة شقراء الشعر، كانت تنظر جيدًا لهذه الحروف، تنظر لها بألمٍ وكأنها. . وكأنها تعيش كل حرفٍ تكتبه.

فتحت ذلك الدرج أمامها ليظهر الكثير من الأوراق المشابهة لتلك الورقة. .

تلك الأوراق التي حملت همها وهي الوحيدة التي رافقتها في أحلك لياليها سوادًا.

أمسكت بتلك الورقة التي خطت فيها تلك العبارات، وكادت تضعها في الدرج إلا أنها تفاجأت بهذا الرجل ضخم الجثة يسلب منها تلك الورقة وفي عينيه نظرة غضب. .

بدأ ذلك الرجل يقرأ ما في الورقة، إلا أنها حاولت أن تأخذها منه، ولكن لم تستطع. .

وحين فرغ الرجل من قراءتها نظر لها بضيقٍ وبدأ يتحدث:

- تيا! كم مرةً أخبرتكِ أنكِ لم تخلقي لتكوني كاتبة!

أنتِ خلقتِ فقط لكي تتعلمي من والدكِ كل ما يقوم به وتساعديه.
ألقى تلك الورقة على الأرض وبصق عليها وهو يصرخ:
- لما أنتِ لستِ كأختكِ؟ من الجدير بكِ أن تتعلمي منها.
نظرت له (تيا) للحظاتٍ قبل أن تغمض عينيها لتهون على نفسها باقي كلماته تلك.
حينها استشاط الأب وأمسك بها من شعرها يجرها حتى وقفت، وقد أصيبت للحظة بحالة من الهياج فانفعلت وهي تقول:
- أنا لا أريد أن أكون مثلكم، أنتم أناسٌ غلفكم السواد من رأسكم حتى أقدامكم. .
أي أبٍ أنت لأقتدي به! بل وبمَ أقتدي من الأساس!
برجلٍ يعلمني كيف أتواصل مع الجان؟ أقوم بأعمال السحر لمن يُغضبني!
أصبح مثلك يخافني الناس ويهابوا حتى سماع اسمي!
أنا أكرهك، وأكره ذلك اليوم الذي. . .
لم تكمل حديثها لأن والدها قد سدد إليها صفعةً قوية أسكتتها، بل وظل يسدد لها اللكمات واحدةً تلو الأخرى حتى صار الدم يتدفق من فمها وأنفها ومع ذلك لم تبكِ للحظة، وحين التفتت لتنظر نحو الباب وجدت شقيقتها تنظر لها بأعينٍ ساخرة، ولم تقم بأي حركة حتى. .
خرج والدها من الغرفة، واستندت (تيا) على الجدار حتى لا تقع، وظلت شقيقتها سوداء الشعر تنظر لها بنفس الأعين الساخرة، قبل أن تقترب منها بهدوءٍ وتبدأ في الحديث:
- كفاكِ وهمًا (تيا)، في هذا المنزل إما أن تكوني ما نريد أو لا تكوني.
تساءلت (تيا) وهي تبتسم بألمٍ ساخرة:

- ما معنى لا أكون يا. . شقيقتي؟
رفعت الأخرى حاجبها وأجابت ببرودٍ:
- أنتِ لا شيء يا (تيا)، أنتِ مجرد عثرة في طريقنا نتخلص منها في حال لم تستقم وتسمح للجميع بالمرور فوقها بلا تذمرٍ.
ألم تفهمي بعد؟ إن أبي يحاول اجتذابكِ لصفنا حتى يجنبكِ شرنا، ألا تعلمين أن منهجنا هو إما أن يكون معنا أو لا يكون، لا يكون يا (تيا)، أي يُنفى من الوجود أصلًا.
استندت (تيا) على المكتب وهي تسير نحو أختها، ثم وضعت يدها على كتفها قائلةً بجدية:
- أختي، ما الذي يُجبرنا على تلك الحياة والاستسلام لرغبات أبي؟ ألا يوجد لديكِ أحلامٌ تودين تحقيقها؟
تراجعت أختها خطوةً للخلف فكادت (تيا) أن تقع وأجابتها الأخرى بهدوء:
- أنتِ سخيفةٌ جدًا (تيا)،٠ أنا أعشق ما نقوم به في هذا المنزل، إنني آمل أن أصبح أمهر من أبي حتى فيما يفعل، أحلامكِ وطموحاتكِ تتعارض معنا، وأنا أحذركِ الآن إن هذا ليس في صالحك، فهذا قد يؤثر على. . على حياتك (تيا).
ضحكت (تيا) ساخرةً وأجابت:
- إِذَنْ وفري تلك النصائح لنفسكِ (هورتِن).

•••••••

٢١

الثالث من آب ١٩٧٢م

أخذت (تيا) تتراجع للخلف وهي تصرخ بها بعدم تصديق:

- أنا أختكِ يا (هورتِن)، أنا (تيا) أختكِ هل ستقتلينني حقًا؟

أجابتها (هورتِن) ببرودٍ وهي تتقدم بخطواتٍ متزنة:

- لم أعتد المناقشة حين يكلفني أبي بعملٍ ما.

- حتى ولو كانت رأسي يا (هورتِن)؟

- حتى ولو كانت رأسكِ.

وفي ذلك الوقت الذي كانت تتراجع فيه (تيا) للخلف تعثرت في حجرٍ ما فوقعت أرضًا مما سهل ل(هورتِن) الخَلاص منها بذلك السكين الحاد.

لترى بعد ذلك جسدها الذي فرت منه الدماء وتناثرت في كل مكانٍ حتى غطت ثوب (هورتِن) الأسود، ليزداد كآبةً، وسوادًا.

وقفت (هورتِن) بعدها وأخذت تنظر بتلك العينين الجامدتين لتلك الجثة الهامدة، التي كانت في يومٍ من الأيام أختها. . أختها التي كان لها آمالٌ وأحلامٌ تتمنى تحقيقها. . أختها التي لطالما نصحتها بأن تبتعد عن هذا الطريق المظلم فلم تهتم يومًا برأيها. . وها هي الآن أمامها شهيدة أحلامها, كانت عينيها لا توحي بأي تأثرٍ بما أمامها، حتى ظهر من خلفها ذلك الأب. . ظل يسير حتى وقف بجانبها، وأخذ ينظر إليها هو الآخر لبضع دقائق في صمتٍ مضنٍ.

وفجأةً فتح فاهُ وبدأ يتحدث بهدوءٍ في نبرةٍ سيطر عليها الاختناق:

- عنيدة. .

كانت عنيدةً كأمها تمامًا لذلك حصلت على نفس مصيرها.
ومن بعيدٍ كان ذلك الفتى يراقب كل هذا وهو يبكي بأسى، لطالما اعتاد أن يطيعهما لشدة خوفه منهما، وبعد أن رآها تقتل أختها بكل بساطة، ووالدها يشجعها في برودٍ، لم يكن لديه أي خيارٍ إلا أن ينفذ أوامرهما بهدوءٍ، وإلا سيكون هو الضحية الجديدة.
إنه مشهدٌ قاسٍ يا صديقي، لست مطالبًا بالنظر إليه، لذلك سأنتقل بك إلى مشهدٍ آخر.

●●●●●●●

٢٢

أخذت نفسًا عميقًا وهي تنظر لهذا الرجل الجالس أمامها بهدوءٍ وتقول:
- المشكلة أنه لا يرتاح أبدًا فمذ أن بدأ التحقيق في هذه القضية بات يرى أن أزمات العالم بأسره نابعةٌ منها، وأنه لو حلها سيحل كل الأزمات!
سألها ذلك الرجل ذو المعطف الأبيض بجدية:
- إِذَنْ يا سيدة (صبا) هل ترين أنها أثرت عليه من جانبٍ واحد أم من عدة جوانب؟
- لقد أثرت عليه لدرجة أنه لم يعد يشعر بالجوع.
وصار ينام قليلًا وحتى حين ينام يستيقظ ليخبرني بأشياءٍ غير واقعية البتة، مثل أنه رأى البارحة المرأة التي يحقق في قضيتها!
- لا تقلقي هذا لأنه أصبح يتعمق كثيرًا فيها لذلك فقد أصبح يرى كل شيءٍ يؤدي إلى تلك القضية حتى الأحلام.
هذا يحدث غالبًا عندما يفكر الشخص في شيءٍ ما لدرجة أنه يتناسى كل شيءٍ في سبيل تذكره.
- ولكنني أشعر بالقلق عليه.
- سيدة (صبا) لا تقلقي فالإنسان بطبعه يمل سريعًا فإما أن يحلها أو يمل منها ويتركها في النهاية.
المهم أنه يجب عليكِ دائمًا أن تشعريه بأهمية ما يقول حتى لا يشعر بأنكِ تسخرين منه.
أخذت نفسًا عميقًا وهي تردد داخلها:
- أنت لا تعرف زوجي جيدًا، لو أراد تحدي قوانين الفيزياء لنجح في ذلك.

ثم همت بالرحيل وهي تشكره باسمة:
- شكرًا لك د. (جورجيس) على هذه الإجابات.

●●●●●●●

خرج من ذلك المشفى وقد تغيرت ملامحه فلو كنت تراه وهو يدخل منذ قليلٍ ووجهه ممتلئٌ بالآمال لا تراه الآن ووجهه ممتلئٌ بالهموم.
فلقد علم أن (ماك) صديقه الذي رآه في الحلم البارحة قد توفي منذ أسبوع.
هل إلى تلك الدرجة هذه القضية تأخذ الناس بعيدًا عن أحبائهم؟
ماذا لو حدث له هذا كيف ستتحمل (صبا) الأمر. . كيف؟! هل كان أنانيًا حين قرر التحقيق في تلك القضية رغم كل تلك المعارضات والنصائح؟
زفر باختناق وركب سيارته بعدها وانطلق ورأسه مازالت تعمل. . وفجأةً بدا وكأنه رأى شيئًا ما فتوقف بسيارته أمام تلك السيدة تمامًا فتراجعت منتفضةً بذعر. .
تلك السيدة كانت بالصدفة زوجته.
ثم نزل من سيارته وهو يقول ضاحكًا:
- اهدئي أنا آسفٌ لم أقصد. .
نظرت له بضيقٍ وقالت:
- لقد أخفتني.
وضع يده على كتفها حين بدأ يجد الناس تنظر لهم، وتحدث بهدوء:
- هيا لنركب السيارة لتخبريني بعدها أين كنتِ.
ركبت معه بالفعل وقد بدت عليها السعادة وكأن لديها خبرًا يسع الكون جمالًا.
حين بدأ يقود سألها مرةً أخرى:

- أين كنتِ؟
أجابت بجدية:
- في الحقيقة أولًا ذهبت لزيارة طبيبٍ نفسي، لأنني كنت أريد أن أعلم إذا كنت أنت بخيرٍ أم لا؟
نظر لها وقد مر من أمامه فجأةً حلمه وهو في المشفى حين أخبرته (هورتِن) أنه مكانه الجديد، وبلا ترددٍ سألها:
- وهل تصرفت كالمجانين أمامكِ؟
دمعت عيناها وهي تجيبه بانفعال:
- أنا لم أقصد هذا، أنا فقط أردت أن أعلم هل أنت بخيرٍ أم لا؟
أنت كل شيءٍ بالنسبة إلي يا (لؤي)، وألمك هو ألمي وعناؤك عنائي، لذلك أردت التخفيف عنك.
ابتسم لها بمودة فهو يعلم كم تخاف عليه، وهذا سببٌ آخر يثبت أنه أناني، هي دائمًا تتحمله برضى، هي دائمًا تساعده، وتقف إلى جانبه ومع ذلك فهو دائمًا يقصر في حقها. .
- لدي خبرٌ آخر لك وهو الأجمل.
- ما هو؟
ابتسمت بسعادة وهي تجيب:
- أنا. . أنا حامل.
أوقف السيارةَ فجأةً من المفاجأةً وسألها بجدية وهو يكاد يبكي من السعادة:
- أعيدي ما قلتيه.
أعادت بسلام:
- أنت ستصبح أبًا يا (لؤي) عما قريب إن شاء اللّه.
ظل يضحك بسعادة ويردد. .

- كنت أشعر بأن ذلك قريب الحمد لله. . الحمد لله.
أما هي فقد كانت سعيدةً لسعادته أكثر من سعادتها بالجنين الذي في رحمها الآن.
ابتسمت أكثر ثم سألته بمرح:
- إِذَنْ ماذا تتمنى أن يكون؟ فتاة أم صبيا؟
نظر لوجهها وهو يجيب بمودة:
- أتمنى أن يكون ما ستأتينني به فقط، لا أتمنى أكثر من ذلك صدقيني، أعلم أنه في كل الأحوال سيأخذ الكثير من صفاتكِ لذلك فهو الأروع دائمًا فتاةً كانت أم صبيًا.
ثم تابع محذرًا:
- من اليوم لا ضغوط، ولن تعملي بالمنزل سأحضر لكِ أحدًا يساعدكِ و. .
ثم نظر لها وتابع باسمًا:
- وسآخذ أسبوعًا إجازة من العمل، لن تستمعي فيه لأي شيءٍ عن تلك القضايا السخيفة. .
صفقت بيديها وهي تردد كالأطفال:
- سيأخذ إجازة. . سيأخذ إجازة. . سيأخذ إجازة. . سيأخذ إجازة. . سيأخذ إجازة. .
أنا لا أصدق ليتني أصبح حاملًا كل يوم.
ضحك على طريقتها المجنونة تلك ثم انطلق بالسيارة ثانيةً نحو المنزل وقد نسي تمامًا أمر تلك القضية وبات يتخيل أن هذا الطفل قد جاء، ويتخيل اليوم الذي سيسمعه فيه يردد لأول مرةٍ. . -أبي-.
- يا اللَّه كم أنت كريم. .
قالها برضى وقد باتت ابتسامته هي ما تعبر عنه.

٢٣

بعد ٩ أيام. . . ليلًا.

ها أنت تشاهده ينام بتلك الطريقة على أوراق ومستندات تلك القضية المشؤومة.

ثم يستيقظ ويظل يفكر فيها من جديد لقد حقق مع أي شخصٍ حصل ورآها من قبل تقريبًا!

لم يترك أحدًا لم يحقق معه ولم يهمل كلمةً من كلمات الشهود، وحقق مع كل المشاهير التي كان تعاملها معهم.

حتى كاتب المقال في الجريدة عنها حقق معه!

الآن هو واثقٌ أنه لا يبحث عن امرأةٍ على قيد الحياة بل عن جثتها، وبعد إهمال الجميع لتلك القضية صار كل شيءٍ وكأنه لم يكن من قبل! بل صارت (هورتِن) نفسها مجرد أسطورة بين الناس يحكيها الآباء لأبنائهم حتى يمنعوهم من فعل شيءٍ سيء.

كل هذا في سنة واحدة! حتى منزلها لا يستطيع الوصول إليه!

وقف فجأةً وأخذ يسير يمينًا ويسارًا قبل أن يسمع هاتف مكتبه يرن. .

خطى نحوه وأجاب:

- السلام عليكم. .

ابتسم حين سمع الصوت عبر الهاتف وردد بعد قليل وهو ينظر في ساعته:

- أنا أعتذر (صبا) فلم أنتبه أن الوقت تأخر هكذا. .

صمت قليلًا قبل أن يجيب هو يغمض عينيه بتعب:

- في الحقيقة لقد نسيت تناول الطعام، لكن لا بأس سأعود للمنزل الآن إن

شاء اللَّه وسآكل لا تقلقي. .
حسنًا وداعًا.

●●●●●●●

كان الطريق مظلمًا أمامه وهو يمر فاضطر لإشعال ضوء السيارة الأمامي. .
طريقْ مظلمٌ هادئٌ وخاصةً هذه المنطقة التي من المستحيل أن تجد فيها إنسيًا يسير في مثل هذا الوقت لأنها تضم سلسلةً من المدافن ولا أحد بهذه الشجاعة ليسير فيها. .
أثناء سيره هناك ما استوقفه فجأةً، فرجع بالسيارة بعض المترات حتى توقف أمام بوابةٍ مكتوبٌ عليها -مدافن (سيزوران)-.
-هذه المدافن سميت بهذا الإسم لأنها كانت عبارةً عن أرضٍ عادية يملكها رجلٌ يدعى (سيزوران). . كان هذا الرجل يخاف كثيرًا من فكرة أن يموت أحدهم ولا يجد مكانًا يدفن فين، وقد تأثر في ذلك بأحداث الحرب العالمية الأولى حين قتل الملايين وتفتتَتْ جثثهم وتراكمت فلم تجد قبرًا يحتويها أو ترابًا من عريها يحميها. . تركت الكثير من الجثث في العراء حتى تعفنت وتحولت لعظام.
لذلك كان ذلك الرجل يجد أن الإنسان ليس له سوى الستر سواءً على قيد الحياة كان. . أم متحللًا تحت التراب.
ومن هذا فقد تبرع بأرضه كلها لستر الناس أمواتاً بعد ستر اللَّه لهم وهم على قيد الحياة.
ومن الجدير بالذكر أن هذا الرجل قبل أن يموت بعامٍ وشهرين أعلن إسلامه وغير اسمه إلى (مُحمد) ولكن ظلت تلك المدافن باسمه القديم حتى مات.
لا يهتم هو بكل تلك التفاصيل، هو فقط واثقٌ من أنه قرأ اسم هذه

المدافن منذ وقتٍ قريبٍ في. . في. . .
- إنها نفسها المقابر التي دفن بها (دينياس) شقيقها!
نطق بهذه الجملة في ذهولٍ لأنه يوميًا يمر عليها ولم يقرأ اسمها من قبل!
فجأةً وهو يفكر مع نفسه قرر الإسراع إلى المنزل لأنه قد تعب من التفكير والضغط، وهو لا يحتاج الآن إلا لزوجته (صبا) فقط.

•••••••

٢٤

واقفٌ هو أمام هذا التراب، ممسكٌ بجاروفٍ كبير وهو ينبش ذاك القبر وكأنه يبحث عن شيءٍ ما. . ظل لوقتٍ طويلٍ يحفر لكنه لم يصطدم بأي جسمٍ أو هيكلٍ أبدًا.

زادت سرعته، وانفعال حركاته ونظراته وقد بدا عليه الإصرار وهو يحفر ولكنه أبدًا لم يعثر إلا على المزيد والمزيد من التراب!

●●●●●●●

كانت (صبا) خارج الغرفة وعندما دخلتها وجدت زوجها يصارع الغطاء وقد بدا عليه أنه يحلم بحلمٍ مزعج. . .

فاقتربت منه بهدوءٍ وظلت تناديه برفقٍ حتى استيقظ، ثم نظر لها، ولنفسه. . هو على الفراش لا هذا المكان المظلم!

في هذا الحين الذي استمر فيه بالتفكير في ذاك الحلم العجيب ناولته هي كوب مياهٍ وهي تقول بخفوت:

- تفضل (لؤي).

تناول الكوب منها وظل شاردًا لوهلة يفكر، فسألته بجدية:

- ماذ بك، هل كان كابوسًا؟

- حلمت بأنني أنبش أحد القبور!

بنبرةٍ تحمل الغموض قالها فتحدثت بقلق:

- قبور!

شرب هو رشفاتٍ ثلاث من هذا الكوب ثم أخذ يحاول التفكير وكأن هناك

حلقة ناقصة يبحث عنها. .
- لم أجد أي جثةٍ في هذا القبر، لقد كان خاليًا تمامًا وبدا أني كنت أبحث عن هذه الجثة.
تنهدت هي باختناقٍ بعد أن استمعت له، ما يقوله غير منطقي وهي تعبت من مجاراته، إنها خائفةٌ عليه حقًا سيفقد عقله بسبب تلك القضية الـ .
- (صبا)!
نظرت له فسألها بجدية:
- هل أبدو لكِ منطقيًا؟
ابتسمت له للحظاتٍ تحاول فقط التظاهر بأنه كذلك، لكن كم كان الأمر صعبًا. . !
أمسك يدها وأجلسها على الفراش أمامه وقد بدا عليه الإصرار وهو يردد:
- يجب أن تفهميني. . (صبا) لم أحلم حلمًا لا فائدة له من قبل!
وقد حلمت بهذا الحلم ثلاث مراتٍ حتى الآن، أما ترين أنه مهم؟
نظرت له وقررت مجاراته. . أو بمعنى أصح أن تساعده، ثم قالت بجدية:
- لا بأس احكِ لي ما حلمت به ونحلله سويًا.
بدأ هو يقص عليها قائلًا بشرود:
- كل مرةٍ أحلم بأنني أنبش أحد القبور بهدف الوصول إلى جثةٍ ما، ثم لا أجد أي جثة وأظل أحفر وأحفر كثيرًا بلا فائدة.
يقف شخصٌ ما خلفي وأنا أحفر وبطريقةٍ ما أرى ابتسامته الغليظة وفي نفس الوقت الذي لا أستطيع تحريك رأسي فيه للخلف لأراه، ولا أعلم كيف أرى ابتسامته ووجهه المظلم الذي لا أكاد أتبين منه إلا عينه الحمراء وبسمته!

ثم أستيقظ وأنا أتابع الحفر. .
هذا المكان الذي أحفر فيه يا (صبا) هو. .
نظر لها بغموضٍ وتابع:
- -مدافن (سيزوران)-
سعلت وهي تتحدث بدهشة:
- ماذا؟
أومأ رأسه وأجاب:
- تلك التي دُفن فيها (دينياس).
أتعلمين يا (صبا) لماذا يراودني هذا الحلم مرارًا هذه الأيام؟
بالنفي أجابت، وبالإجابة رد:
- لقد وردني خبرٌ منذ ثلاثة أيامٍ أنهم حين فتحوا مقبرة (دينياس) كي يضعوا إلى جانبه أحدًا آخرا حيث أن المدافن قد امتلأت، لم يجدوا جثته ولا التابوت الذي وضع فيه، لم يجدوا له أثرًا يا (صبا)!
ومن هنا بدأت أشك أنه على قيد الحياة.
ماذا لو أنه اصطنع كل هذه التمثيلية وقتل أخته وهرب!
هزت رأسها نافيةً وهي تسأله غير مقتنعة:
- كيف؟ لقد حُضِّرت له جنازةٌ وحضرها أهله المتكفلين به. . أنت قلت لي هذا، وقلت أنهم قالوا أن الجثة بمجرد دخولها القبر قد سحبتها قوى لأسفل ولم تذكر أبدًا أنه كان هناك تابوتًا!
ابتسم لها بإعجابٍ وقال:
- أعشق أن تركزي في التفاصيل، ربما هذا كان سبب ارتباطنا فلقد التقينا في مكتبٍ كنتِ تحققين فيه في واحدةٍ من أبشع جرائم القتل يا (صبا). .

لقد أعجبت بكِ حين حللتِ هذه القضية وحدك والتي لم يستطع أحدهم أن يُحللها حتى. .
أما فهمتِ حتى الآن لمَ لم أستعن بأحدهم لمساعدتي في حل تلك القضية رغم أنهم أرسلوا لي العديد من المساعدين؟
أخذت (صبا) نفسًا جسورًا طويلًا ونظرت بهدوءٍ ثم قالت:
- ولمَ لم تطلب مني؟
- للحق في البداية اعتقدت أني سأستطيع حلها وحدي. . لكن هذا معقدٌ جدًا. . أنا أحتاج أليكِ يا (صبا) حتى في عملي كما أحتاج إليكِ في كل شيء.
ابتسمت له ابتسامة حانية. . صحيحٌ أنها تركت العمل في هذا المجال بناءً على طلبه حيث أنها كانت مصدر إعجابٍ وطمعٍ من قبل الكثيرين، ولكنها ستعينه. . ستعينه دائمًا بكل ما لديها من طاقة. .
- هذه البسمة التي يضاهي جمالها جمال أول زهرةٍ تفتحت في فصل الربيع تقول لي أنكِ معي.
ازدادت ابتسامتها اتساعًا وهي تسأله:
- ومنذ متى لم أكن معك؟
ثم تابعت بجدية:
- هل هذه القضية تهمك كثيرًا يا (لؤي)؟
أجاب بهدوء:
- أعلم جيدًا أن التحقيق في هذه القضية يهم البلدة كثيرًا حيث أن الشعب بات فاقدًا الأمل في النظام، وتحرياته، وشرطته وأمنه، وبالنسبة إليهم هذه القضية المعقدة التي سببت الكثير من السخافات والخرافات بين الشعب من المهم جدًا حلها، لذا يهمني جدًا حلها، ومن ناحيةٍ أخرى. . أريد أن

أثبت لنفسي ألا قضية مستحيلٌ حلها.
أومأت رأسها بتفهمٍ ثم قالت:
- لكن أحتاج إجابةً منطقية عما طرحته عليك عن قضية (دينياس)!
فتح درج الحاملة التي بجانب السرير، وأخرج منها الكثير من الجرائد ومن ثم بدأ يجيب بجديةٍ وهو يمسك جريدةً تلو الأخرى:
- في الوقت الذي ذُكر فيه في إحدى الجرائد ما حدث لجثته هاجمتها الجرائد الأخرى بحجة الافتراء، فلم يحدث كل هذا، كما أكد حارس المدافن أنه قد دفنه مثل أي مسيحيٍ يدفن بالتابوت الخاص به!
ولكن جاءت إحدى الصحف بأخبارٍ أخرى عن الأسرة التي تبنته وقالت أن ابن تلك الأسرة قد توفي في نفس اليوم الذي توفي فيه (دينياس)، وأن الشخص الذي دفن كان ابن تلك الأسرة لا (دينياس)، وأنه قد هرب لجرمٍ ارتكبه. .
وجرائدٌ أخرى تكذب، وأخرى تأتي بخبرٍ آخر عن أنه لا يوجد من يدعى (دينياس) ولا (هورتِن) وأنها من أسماء الشياطين ابتدعها شخصٌ ذو خيالٍ واسعٍ لجذب الانتباه. . . وأخرى وأخرى. .
وطالما كل هذه الأخبار المتناقضة متواجدة فإن الحل من المستحيل إيجاده من الجرائد، ولذلك طلبت من أحدهم أن يتحجج بامتلاء القبور ليفتح قبره فيجده فارغًا تمامًا. . فكرت حينها أنه لم يمت من الأساس ودفع المال لكل تلك الصحف لتكتب تلك الأخبار المتناقضة.
- حسب معلوماتي يا (لؤي) لقد كان هو وأخته فاحشي الثراء فلمَ تكفله أسرةٌ ماديًا؟
- هذا سببٌ آخر لتكذيب أنه قد كفله أحدهم!

- ولكن ما يحيرني هو. . مِمن يهرب أصلًا؟ ولِمَ كل هذه السرية في حياتهما؟
- هناك تفسيرٌ منطقيٌ وحيد، وهو أنه على قيد الحياة، وبعد أن قتل أخته (هورتِن)، هرب من السلطات حتى لا يتم تنفيذ الحكم عليه، وأنه يريد أن يعيش حياةً هادئة. . !
تساءلت هي باستغراب:
- كيف يدفن ولا يدفن يا (لؤي)؟
- انظري يا (صبا). . كل هذا موضع شك، هذه القضية كلما جمعتِ فيها معلوماتٍ أكثر زاد غموضها أكثر. .
- هل استجوبت العائلة التي كفلته أو أشيع عنها ذلك؟
- لقد سافروا إلى كندا في اليوم التالي من دفنه.
- جميعهم سافروا؟
- جميعهم.
لذلك قررت عدم الوقوف هنا والبدء بتحرياتٍ من نوعٍ آخر.
- كيف؟
- لقد استجوبت كل من كان على علاقةٍ بهما أو تعامل مع أحدهما لفترةٍ من الزمن، وفي أثناء تلك التحريات علمت أنها كانت تحب الظلام والعزلة كثيرًا. . وقد تكررت تلك الجملة من قبل الجميع.
لا أعلم إن كان ما أقوله منطقيًا أم لا ولكني أعلم أنه في نهاية تلك المدينة هناك منزلٌ لا أحد يعلم لمن يكون. . هذا المنزل الذي يقع في مكانٍ خالٍ من السكان والذي نراه حين نسافر خارج المدينة.
أشك في أن يكون لها، حيث كان منزلًا مطليًا بالأسود من الخارج وحين يمر الظلام عليه يختفي تحت ستاره.

فكرت في أن يكون له علاقة بهما بأي طريقة من الطرق.
ضحكت (صبا) بهدوءٍ ونظرت له للحظاتٍ قبل أن تقول:
- تستعمل الورقة والقلم، الحقائق، الأوهام، الأحلام، بل حتى الخيالات في تحقيقك. .
لم أرَ أحدًا يحقق بتلك الطريقة من قبل. . أشعر أنك تستعمل في حلها جزءًا كبيرًا من الافتراضات لا الحقائق!
ابتسم لها وأجاب بهدوء:
- إذا أردتِ تفسير ظاهرةٍ ما يجب أولًا أن تضعي لها الفروض، ثم تتأكدي من صحتها عن طريق مقارنتها بالحقائق التي لديكِ.
لأن هذه أول مرةٍ ترينني أحقق فيها وتدخلين معي في إطارها فتشعرين بالدهشة لأن أسلوبكِ مختلفٌ عني في حل القضايا.
- إِذَنْ فلنبدأ بالمحاولة فيها لكن بعد أن أحضر الإفطار.
نزل هو من على الفراش وهو ينظر لها باسمًا ثم قال:
- معك حق فأنا جائعٌ جدًا. .

●●●●●●●

عزيزي القارئ ثمة مشهد سيعرض على ناظريك الآن ربما يساعدك في تفسير القضية.
أيها القارئ العزيز لا تظن أبدًا أنني أطرح عليك الحلول لكي لا تفكر في حلٍ للغزها!
أنت يا قارئي العزيز من سيحل تلك القضية قبل أبطال الرواية أنفسهم. .

●●●●●●●

اقترب ظله منها وهي جالسةٌ بصمت في أحد أركان تلك المقبرة، فقط نظرت له للحظاتٍ قبل أن تردف بروية:

- (دينياس). . حاول الاستسلام للأمر الواقع. . سنموت هنا يا أخي.

نظر لها بدهشةٍ وكرر كلمتها بشيءٍ من العجب:

- أخي! أتعلمين أنها المرة الأولى التي أسمعها منكِ في حياتي. . حتى إنه حين كان أحدهم يسألكِ عني كنتِ تقولين لهم أني مساعدكِ!

صدرت عنها ضحكة خافتة وأجابته:

- أنا لم أُرح أحدهم في حياته مطلقًا. . ولم أرسم ابتسامةً على وجه أي كائنٍ في أي يومٍ من الأيام. . كنت أعلم أنك ستحبها لذا لم أقلها.

علمني والدي كل هذا يا (دينياس) علمني أن أجد أبشع الألقاب التي يكرهها الناس لأناديهم بها.

علمني أن أبتعد عن كل شيءٍ يسعدهم. . علمني أن أوقع الرجال في غرامي وأتركهم كما فعلت مع (روجيك)، و(ليو) وغيرهما بل والكثير والكثير منهم، لم أهتز للحظة لم أشعر أبدًا أنني مذنبة.

رفعت رأسها وقد بدا على عينيها الحجريتين تفتتًا:

- كنت أقسى من حجرٍ عملاقٍ الغرض الوحيد منه دحرجته على الأرض ليقتل المُشاة.

كنت أقسى من حبل المشنقة التى بمجرد وضع رأسك فيها ترحب بك بأخذ رأسك منك. .

اقترب منها (دينياس) بعض الخطوات وهو يتحدث بجدية:

- وما السبب في الندم المفاجئ؟

- تراكم الشعور الذي كان دائمًا يسيطر على عقلي. . شعورٌ بالكره والحقد

عليّ. . شعورٌ برغبتي في تعذيب نفسي، أكرهني لحدٍ بغيض. . أكرهُني لدرجة أنني أتمنى رؤيتي أشوى داخل نيران مستعرة.
نظرت له للحظاتٍ قبل أن تتساءل بغموض:
- أما اختنقت يا (دينياس) من هذه الحياة البغيضة؟
هز رأسه نافيًا وهو يضحك بسخرية ثم بدأ يتحدث بحسرة:
- لا، لم أمل منها أبدًا يا حبيبتي. . أنا لم أعش لأملها. . مازلت صغيرًا على الموت.
- كنت أعلم أنك ستقول هذا. .
قالت تلك الجملة بخفوت، فعاد ينظر لها راجيًا:
- (هورتِن) أرجوكِ. .
أخذت نفسًا طويلًا أظهر مدى الهدوء الذي تتحلى به، ثم نظرت إليه وسألته بجدية:
- أتريد الخروج من هنا؟
أجاب بلهفةٍ:
- نعم بالطبع.
كان هذا المصباح الذي بداخله تلك الحشرات المضيئة ينير ولكن الضوء كان مرعبًا، تخيل أنك تحت رحمة تلك الحشرات الآن التي تطفئ ضوءها بين الحين والآخر. .
تخيل أنك في مكانٍ كهذا مغطًى بالجماجم والعظام وباقي تلك الأشلاك التي تغذت عليها الديدان منذ ملايين السنين. .
أخائفٌ أنت من التجربة. . ؟
ألم تُدر رأسك دائمًا حول تلك الأحاديث تقول -هذا خرافي!-

أغمض الآن عينيك وتخيل تلك الحديقة التي زُرعت سوادًا فحُصدت عظامًا،
أنت الآن يا صديقي داخل مقبرة -ويكسلوفير-
داخل مكانٍ نتنٍ حدث فيه مالا يمكن لعقلٍ تخيله، ولا لقلبٍ تحمله. .
أتحدث عن القلوب الحية يا رجل، لا القلوب الميتة!!
قالت له بهدوءٍ فجأةً وهي تقف:
- سأخرجك من هنا يا (دينياس). . لكن ثمة ضريبة يجب عليّ أن أدفعها لأستطيع إخراجك من هنا.
- م. . ما هي؟
نظرت له بغموضٍ للحظات قبل أن تردف بنبرةٍ باردة، قاسية:
- روحي.

•••••••

٢٥

- -المخدرات. .

تسلب العقل، تجعله قاصرًا على اعتقادٍ راسخٍ بأن مدمنها بدونها لا يستطيع الحياة. . اعتقاد بأنه ضعيفٌ لا يستطيع التوقف عن تعاطيها. .

تقتل ببطءٍ وبصورةٍ بشعةٍ، فقط لا تجازف بمحاولة شربها أو الالتفات حول مدمنها ومتعاطيها.

كنت تهوى الحياة أم كنت تكرهها، كنت تحب نفسك أم كنت تبغضها، لا ترمِ نفسكَ في دائرة الهلاك ومجاريها. . -

- صباح الخير حبيبتي. . لمَ تقرأين عن المخدرات في صباح يومٍ مشرقٍ كهذا؟

التفتت تنظر إليه باسمةً لتردف بعدها بهدوء:

- جعله اللَّه صباحًا جميلًا عليك.

- علينا.

اتسعت بسمتها وتابعت:

- لقد كنت في الحقيقة أقرأ عنها لأنني أريد جمع بعض المعلومات عن ذلك الموضوع، هذا الكتيب قد كتب فقط منذ عامٍ ونصف لذا فمعلوماته ستواكب آخر ما تم التوصل إليه حتى الزمن الذي أريده.

وهذا الذي قرأته كان مقدمةً لذاك الكُتيب.

كانت هي تجلس على مقعدٍ خشبي أمام نافذةٍ واسعة تطل على سماءٍ باتت أجمل بمجرد أن لامست أضواء شمسٍ غمامها.

سحب هو ذاك الكرسي الذي في مواجتها، ثم جلس وقد بدا عليه الإهتمام وهو يتساءل:

- لابد وأن هناك ما دعاكِ للقراءة عنها.
أومأت رأسها وبدأت تفسر له الأمر بجدية:
- في المساء كنت أنت متعبًا فخلدت للنوم باكرًا، لكنني استمررت بالبحث عن أي شيءٍ قد يربط كل تلك الحوادث ببعضها البعض. . وخاصةً حوادث سرقة الجماجم من القبور وأحيانًا الهياكل بأكملها.
ازدادت عينه بريقًا وهو يتابع باهتمام، ثم سأل:
- وهل وجدتِ رابطًا مشتركًا بينهما؟
- التاريخ. . -العاشر من حزيران- كان هذا التاريخ الذي يحدث فيه جريمةٌ في كل عام. . سواء سرقةٍ للهياكل أو جريمة قتلٍ مثلًا. . !
ألا تدرك أنها كانت تضع بصمةً في كل جريمةٍ تقوم بها وكأنها كانت تقول -أنا هنا. . اعتقلوني- لكن في أي جريمةٍ من هذه الجرائم لم يسمح للشرطة بالتحقيق بها وإلا كانت العقوبة الوخيمة هي الموت!
- هل كان لديها فصام؟
- أو كان أحدهم يظهر والآخر يقتل من يحاول إظهار الحقيقة!
- أتقصدين (دينياس)!
- نعم. . ذُكر في إحدى الصحف أنه قد وجدت قلادةٌ تخص (دينياس) في مسرح جريمة قتلٍ لمحققٍ كان يحقق بأمر مقتل (د. إسلام عادل) وقد قال أحد الشهود من المشاهير. . كان السير (أوليناي) أنه: -رأى تلك القلادة في رقبة (دينياس) من قبل. . كان بداخلها صورةٌ لفتاةٍ شابة. . لم يتم التعرف على صاحبة هذه الصورة أبدًا- لكني سأجن. . لأن السير قُتل بعدها وبنفس الطريقة، ولكن كان الأمر واضحًا. . كان من الواضح تحديد من قتله! كيف لم يقبضوا عليهم، كيف!!

- أنا أيضًا رأيت كل هذا ولكن كان التخطيط محكمًا لدرجة جعلت الجميع يصمتون تمامًا.
- أنا لا أفهم لمَ هذا التسلسل الزمني، وعلامَ يدل؟
- لا أدري (لؤي) لكني شعرت بأنها تعني -احترسوا في مثل هذا اليوم-.
صمتت فنظر لها وابتسم:
- قضيةٌ معقدةٌ أليس كذلك؟
- جدًا، حتى أني بت أفكر في الذهاب لنفس البيت الذي قلت عليه.
ضحك بشدةٍ ثم أجاب:
- ألم أحذركِ؟ ستفقدين عقلكِ بسببها.
ابتسمت ثم صمتت للحظاتٍ وكأنها تفكر في شيءٍ ما. .
- ما بكِ؟
نظرت له للحظاتٍ ثم قالت بشرود:
- أتذكر حين توفيت والدتي؟
- يا لهذه الأيام الكئيبة لمَ تذكرتها الآن؟
- لا أدري ولكني كنت أتمنى الموت في كل لحظةٍ يا (لؤي). . كنت أريد أن أنام فلا أستيقظ من جديد. . أنا الآن أشعر بأني لا أريد الموت أبدًا بفضل اللَّه ثم بفضلك. .
لم أنسَ أبدًا أنه لم يخرجنِ من تلك الحالة إلا إصرارك العجيب معي. . حتى أنني ظللت عمري أتساءل: -كيف تحملت جثةً بلا روحٍ لعامين كاملين-؟
ابتسم بحنانٍ وقد اكتسحت نظرةُ الاحتواء عينيه وهو ينظر لها قائلًا بخفوت:
- أنتِ الحياة، وما بعدها إلا تراب. .

فإن تركتُ حياتي تضيع فأين وإلى أين الذهاب؟
أهداني اللَّه زهرةً ملأ عطرها القلب وفاح خارجه فكيف أهمل زهرتي وأتركها تذبل وتطير كما السراب؟
ضحكت لثوانٍ ثم نظرت إليه وهي تسأله:
- من أين لك بهذا الحديث يا رجل، لا أدري كيف ومن أين تحضره بتلك السرعة؟
ضحك هو الآخر مبادلًا إياها ثم أجاب بهدوء:
- أنتِ رهيبة. . أنظر لكِ فقط فأود لو أترك العالم وأعيش بداخلكِ.
رفعت حاجبيها وأجابته ببرودٍ وهي تُنزل رأسها:
- لا تدرك أنت ما تقوله الآن. . فحين تغضب تنسى أنني مأواك!
أنزل رأسه للأسفل قليلًا حتى ينظر لعينيها وهو يقول:
- ماذا يا جميلتي! لقد مرت ثلاثة أيامٍ ولم تسامحيني بعد!
ابتسمت له بحنانٍ وأجابت:
- أنا وأنت تصرخ بوجهي مسامحةٌ إياك على كل ما ستقول، لكنك يا (لؤي) صرت. .
أخذ نفسًا هادئًا وهو يقاطعها بخفوت:
- صرت أغضب بسرعةٍ. . وأعلم يا (صبا) أنني مخطئٌ كبير، وأن هذا خطرٌ عليكِ وعلى طفلنا. . لكني كنت يومها عائدًا من العمل متعبًا وأنتِ مصرةٌ أن آخذكِ لوالدكِ. . ونسافر! ثم قلتِ إنكِ غاضبةٌ من عملي. . وزاد نقدكِ لي وأنتِ تعلمين أني لا أتقبل النقد حين أكون منهكًا. .
نكست رأسها لبعض الوقت، فشعر أنها حزنت من حديثه، فوضع يده على ذقنها ليرفع رأسها إليه ثم تساءل بحنان:

- ماذا بكِ؟
أجابته بخفوت:
- لا شيء. . فقط لا أحب أن نتشاجر. . هل يمكن أن أطلب منك طلبًا؟
- بالطبع.
- في اللحظة التي تختنق فيها من كلماتي وردود أفعالي أخبرني أن أصمت. .
- يا مجنونة. . وإن صمتتِ أنتِ من يحق له الكلام؟
الموج أم الشجر أم أي إنسان؟!
ضحكت بشدةٍ وكأنها لم تضحك يومًا. .
- تاللَّه إنك لمحتال، أتظن أنك ستغريني بحديثك المعسول هذا؟
علا صوت ضحكاته وهو يقف ويقول:
- لقد أغريتكِ حبيبتي منذ زمان، أم لا تذكرين. . هل أحضر لك الدفتر والمكان؟
ضربت جبهتها بخفةٍ وهي ترد بضحك:
- كُف.
- إذَنْ هل أحضر لكِ زهرةً من البستان، أم أن خصامي وصلحي سيان!
أمسكت هي هذه الوسادة التي كانت خلف مقعدها ورمته بها وهي تقول ضاحكة:
- توقف يا (لؤي) سأموت هكذا.
أمسك هو هذه الوسادة بسرعةٍ ووضعها بجانبه بهدوءٍ وهو يمنع نفسه من الضحك و يقول:
- الآن أتركها وأعلن السلام، فهل لنا أن نعيش بأمان؟
- سألته بصبر:

- تركت ماذا يا زوجي العزيز؟
- أترك الوسادة يا زوجتي الحبيبة في. .
اقتربت هي منه وهي تضحك ثم قاطعته بمزاح:
- لا أنا أعلن الحرب من بعد الآن، فهل لك أن تنسى فكرة الأمان!
رفع يده عاليًا يشعجها وهو يقول ضاحكًا:
- هذه هي زوجتي، إنها لعبةٌ جميلة أليس كذلك؟
ابتسمت وهي تجيب بهدوء:
- ليس هناك من هو أجمل منك. .
أعشقك وأنت مجنونٌ هكذا.

●●●●●●●

٢٦

الخامس من تموز ١٩٧٣

كان الهواء يتخللها ليجعل شعرها شديد السواد يتطاير في نسيم جوٍ قد خاصمه الهدوء. .

كان الظلام هو مبدأ هذه الليلة، لترى بصعوبةٍ تلك التي كانت واقفةً تسير باتجاه ذاك الواقف بعيدًا، وكانت يديها خلف ظهرها تحمل نصلًا حادًا. .

فجأةً علا صوتُ الرجل وهو يصيح أمامها بغرور:

- أقبلي حتى تري آخر إنجازاتي. .

اقتربت منه قاسية الملامح، لتنظر لمرأةٍ أمامه وقد ابيض شعرها شيبًا بالرغم من أن سنها لا يتعدى الثلاثين، وكانت تتلوى على الأرض وهي تصرخ برعبٍ ظهر جليًا في عينيها، فأحيانًا تمد يدها لقدمها تحتضنها، وأحيانًا تقف وتتراجع للخلف ثم تقع وهي تصرخ بكلماتٍ لم يُفهم منها إلا:

- اتركوني. . ابتعدوا عني!

ظلت هي تنظر لها بجانب هذا الرجل، في حين تحدث هو مبتسمًا بسعادة:

- وأخيرًا توصلت لتلك الطريقة التي أجعل البشر بها خاضعين لسلطتي. . ليكونوا كما أريد فقط. .

- ماذا ترى هي الآن؟

سألته بنبرةٍ هادئة، فأجاب بفخر:

- ثلاثةٌ من أبشع الشياطين شكلًا. . إنني أعطيتهم إياها ليستمتعوا بها كثيرًا.

نظرت هي له للحظاتٍ قبل أن تسأل:

- كم ستتحمل؟
- يومان في أقصى تقدير. .
ابتسمت ثم قالت بنبرةٍ حاسمة:
- دعني أجرب. .
نظر لها ثم ضحك قائلًا:
- أنتِ قد تتحملين أكثر لكن صدقيني ليس الأمر بهذه البساطة، انظري لها إنها تتعذب.
- لقد قلت أنك تستطيع جعلهم ينفذون أوامرك بلا اعتراض!
- نعم فهذه الشياطين تجعلهم ينفذون أوامري فقط، وإلم يفعلوا يحتجزونهم في عالمهم الخاص. . يعذبونهم، يقيدونهم، يجدون نقاط ضعفهم فيقتحمونها. . هي الآن محتجزةٌ يا (هورتِن).
- هل رفضت لك أمرًا؟
- لا أنا فقط أتسلى برؤيتها هكذا. .
نظرت لها وقد بدأ الدم يسيل من يدها وتظهر عليه آثار الخربشات الحادة، وعادت تردف مستفهمة بجمود:
- من هذه الفتاة؟
- هذه الفتاة وجدتها في الطريق، كانت هاربةً من منزلها بعد أن حملت من صديقها ورفض الاعتراف بالجنين، أو الزواج بها، لكنها أسقطت الجنين بعدها وقررت أن تعيش وحدها. . المهم أنني عرضت عليها ليلةً مريحة، ومبلغًا ماليًا مناسبًا، فوافقت.
- لكنها هنا منذ ثلاثة أيام.
ضحك بقوةٍ وأجاب:

- أعجبتُها، ولكن لا تقلقي أنا استشرتها قبل أن أفعل كل ذلك بها. .
وأخبرتها أنها ستكون فأر تجاربٍ فوافقت.
- هل ستدعها تموت؟
- نعم أريد أن أعلم إن كانت بالفعل ستحتمل حتى اليوم التالي أم لا!
وقعت تلك الفتاة فجأةً مغشيًا عليها، فنظرت لها (هورتِن) بازدراءٍ قبل أن تردف بفتور:
- لن تتحمل ساعةً أخرى.
وبحركةٍ سريعةٍ لم يحتسبها هو مدت يدها وقتلت تلك الشابة التي شاب شعرها. .
نظر لها بضيقٍ وسألها:
- لماذا قتلتها الآن؟
نظرت له نظرةً سوداء تخفي خلفها هدوءًا، وصقيعًا رهيبًا وهي تقول:
- قلت لك لن تتحمل أكثر. . لا فائدة ترجى منها، افعل بي الآن ما فعلته بها.
اقترب منها بضع خطواتٍ وهو يجيب بجمود:
- أواثقةٌ من هذا؟ قد تموتين!
- واثقة.
- إِذَنْ انتظريني بالداخل، أتخلص أولًا من جثتها ثم أعود إليكِ.
لم تقل شيئًا فقط دخلت إلى المنزل بهدوءٍ وهي تدري مقصدها، ثم نظرت للنصل في يدها وهي تقول:
- أَستنفذ ما لديك أولًا ثم أتخلص منك.

•••••••

٢٧

مُلخص أسبوع حتى الخيط الأخير. .
الأول من كانون الثاني ١٩٩٢م.
فجرًا. .
كانت تقف في النافذة تراقب الفضاء السحيق، والأفق البعيد، تجلت في عينيها لمحةٌ من الحنين، والحزن الدفين. . لتشعر بتلك الذراع التي تخصه هو على كتفها. . تخص الرجل الذي سهر الليالي يداوي جرحها، وهل نضب إلا بمداواته لها!
رسمت بسمةً حانية على وجهها، وحاولت أن تعيد الصلابة لعينها، لكنها لم تحتمل، وهو بادلها ابتسامةً هادئة يسكب عليها من خلالها الصبر، والسلوان. .
عادت تنظر للفضاء ليسألها بخفوت:
- هل اشتقتِ لهما؟
دمعت عيناها بلا قصد، وأومأت رأسها تقول:
- كثيرًا يا (لؤي). . كثيرًا.
مسح على شعرها بحنانٍ وهو يقول بهدوء:
- هل نذهب لزيارتهما؟
هزت رأسها بالإيجاب وهي تقول بتلهف:
- هل يمكننا ذلك؟
ابتسم لها بمرحٍ وأجاب:
- أيٌ مما تريده حبيبتي لا يمكنني فعله لأجلها؟

كانت نظرة الامتنان هي التي تعبر عنها حين تراه، الامتنان لأن حياتها يومًا اقترنت به، الامتنان لتجده يحتل فراغها، ألمها، وحدتها وانكسارها. . لا يملها لثانية، وسترى أبد الدهر في نظراته لها دفئًا لا يوازيه دفء، ولا يجابهه محل. . قبل أن تشكره دائمًا كانت تنظر للسماء للحظات، تشكر الوهاب الحق على هديته لها. . تشكر المانع الذي منع عنها إلا الشعور بالأمان فور لقاه.

- (صبا)!

ذكر اسمها بهدوءٍ وهو يقول بجدية:

- سنذهب هناك حبيبتي، لقد قررت يا (صبا) أن نعود لموطننا الأصلي، -الجزائر- أليست خيرًا لنا من تلك البلد المغتربين نحن فيها وسط أهلها؟

أومأت رأسها وهي لا تكاد تصدق هذا، وأخيرًا ستزور قبر والديها، وأخيرًا ستعود لموطنها الأصلي. .

لكنها للحظةٍ خطر في بالها تلك القضية التي كانا على شفى حفرة من حلها. . لكن لماذا هي أنانيةٌ هكذا دائمًا؟

تساءلت في نفسها ثم عادت تسأله بحيرة:

- و. . وماذا عن القضية، لقد اقتربت كثيرًا منها!

أطال النظر لعينيها ليرى انعكاس وجهه فيها بمحبةٍ صافية، وليجيبها فجأةً بابتسامة:

- لا يهم. . المهم هو أنتِ، أراكِ وقد بات الشرود شريك صفوكِ، وعدم التركيز مجراكِ، لذلك فقد قررت أن. .

- لا يا (لؤي)!

نظر لها بجدية، لتتابع هي ممسكةً بيده تمده بدفئها:

- أنت لن تخرج منها خاسرًا، أنا معك حتى المنتهى، ثم إلى وطننا نعود. لكن أنت لا يمكنك الانسحاب، أنا لن أسمح لك بهذا. .

سألها جادًا:

- أواثقة؟

أومأت رأسها وهي تعيد:

- قريبًا صدقني ستكتشف كل شيء، وكل تلك الليالي التي تعبتها لن تذهب سُدًا. .

ثم تعمقت نظراتها وهي تتابع بهدوء:

- سيبقيا تحت التراب سواءً زرتهما أم لا. . لكني أعرفك جيدًا، فكل جريمةٍ تمر بها وكأنها لعنةٌ لا تنفك إلا حال انكشافها.

ابتسم لها وهو ينظر إلى السماء التي بدأت الشمس تزينها بشعاعها، ثم أردف بنبرةٍ أقرب للهمس:

- أشرقت الشمس يا صبا، ألن يشرق وجهكِ ببسمةٍ تغار منها شمسنا؟

ضحكت فها هو يعود لنفس الأسلوب، هو يعلم جيدًا أنه من أكثر الأساليب التي تضحكها وتثير البهجة في نفسها، لذلك فهو يلزمه دائمًا. .

نظر لتلك الضحكة العذبة وقال بمرحٍ وهو يشير إلى السماء وينظر لتلك الشمس التي خبأها السحاب:

- أرأيتِ كيف انسحبت الشمس من فلكها لغيرتها منك؟

●●●●●●●

الثالث من كانون الثاني ١٩٩٢م

نظرت له وبوادر الانزعاج جلية على وجهها وهي تردف بإصرار:

- يا (لؤي) أرجوك لقد أخبرتني من قبل أنك أشركتني في تلك القضية، أما

يجدر بي الذهاب معك؟
هز رأسه نافيًا بهدوءٍ وهو يجيب:
- (صبا) انسي الأمر لن آخذكِ معي، أنا لا أدري إذا ما كان المنزل خطرًا أم لا!
- ولكن. .
- بدون لكن، لن تذهبي معي لأي مكان.

●●●●●●●

يجب بوصولك سالمًا إلى هنا أن تكون قد استجمعت شتات تلك القضية وبدأت بربط أحداثها. .
فلا تحاول القراءة بلا تخمين حتى لا تصبح معتادًا على استنتاجات غيرك فقط!
ملحوظة:
- أغلب مقاطع التحقيق في القضية تم حذفها لعدم الإسهاب. .

●●●●●●●

أمام ذلك المنزل الذي غطاه سواد الليل. . هل رأيت يومًا منزلًا يختفي إذا ما أتى الليل ليس لظلام الليل بل لأنه مطليٌ بالأسود!
كانت تلك السيارة قد توقفت أمام هذا المنزل، وترجلا منها تتأبط هي ذراعه في شجاعةٍ واهية، من النظرة الأولى تُدرك كونها مدعية. . وللحق فإن منزلًا كهذا عانوا لرؤيته في ذاك الظلام يستحق قدرًا كبيرًا من الذعر.
- يا إلهي لقد كنت محقًا (لؤي) حين قلت أنه منزلٌ يطرد الزوَّار دون دخول! إنه حقًا رهيب!
فتح هو مصباح الضوء الذي معه حتى ينير المكان، وأجابها وهو يركز جيدًا

على هذا المنزل:
- لا أدري يا (صبا) لكني واثقٌ أنه لم يُبنَ هكذا عبثًا، لقد كان الهدف منه إبعاد الناس عنه تمامًا. .
ثم نظر لها مبتسمًا بثقةٍ وهو يتابع:
- وهل نحن نخفي إلا أهم الحقائق؟
أخذت هي نفسًا هادئًا وهي تنظر له. . هي أصرت أن تأتي معه وألحت بشدة لذلك لن تتراجع أبدًا حتى لو كان مرعبًا، مريعًا.
- حبيبتي، إذا كنتِ تشعرين بالخوف فقط أخبريني وسأعيدك للمنزل و. .
أمسكت يده تستمد منه الشجاعة التي كانت قد هربت منها دومًا، فما كان منه إلا أن أغلق يده على يدها، لتبتسم هي وتجيب:
- لا، لا تقلق أنا بخير.
وكانت الخطوة الثانية أن اقتربا سويًا من باب المنزل، طرق هو الباب بهدوء. . لم يجب أحد، عاد ليطرقه أعلى قليلًا. . وكما توقع هو لا إجابة حتى المرة الثالثة ليقوم بعدها بمحاولة دفع الباب بجسده. . مرة. . مرتين. . ثلاثة ونظرًا لأن ذلك الباب كان متهالكًا فانفتح في المرة الثالثة. .
حينها دخلا إلى المنزل ليصدما حرفيًا مما رأوه. .

●●●●●●●

٢٨

١٩٧٣

كان هذا الرجل يجلس داخل دائرةٍ كبيرة، وكان يمسك بإناءٍ صغيرٍ بداخله سائلٌ أحمر. . ثم بدأ يسكب ذلك السائل الأحمر على حدود الدائرة حتى أصبحت الدائرة حمراء.

كانت هي جالسةً أمامه تنظر بهدوءٍ إلى ما يفعله وكأنها تتعلمه جيدًا وتحفظه. . !

وما أن انتهى حتى بدأ يقرأ بعض الطلاسم والتعاويذ بنبرةٍ تتردد بين العلو والانخفاض لتعلو كلما يقول: -ليحل عليها نذر المستوعدين. . أيا قرين وصيفتي. . - وتنخفض نبرته وهو يقول: -يا روح (خازنماس) الخبيثة- كان يردد وهو ينظر لها حتى بدأت ترتعش فجأةً ونظرة البرود تلك تتحول إلى نظرةٍ هائمة. . فعلم أنه قد نجح في إدخالهم عليها.

أخذت دقيقة حتى تقف فجأةً وتقترب أكثر وتنحني أمامه كما أراد هو فظل يضحك بفخرٍ. . وهو يردد:

- أظننتِ حقًا يا (هورتِن) أنكِ أقوى منهم؟

ولم تتغير نظرتها وهي تحملق فيه بطريقةٍ شعر فجأةً أنها مختلفةٌ عن الجميع، لكنها تساءلت بهدوء:

- تريد قتلي أليس كذلك؟

نظر لها بدهشةٍ فكيف استطاعت التحدث هكذا! من المفترض أنها ترى. . لكنه عاد ليتذكر أن ما رأته في حياتها قد يمكنها من التغلب على كل هذا في البداية. . فقط في البداية ثم تموت في نهاية المطاف.

وهنا ارتسمت تلك الابتسامة على فمه وهو يجيبها بجدية:
- انتبهت فقط منذ عدة أيامٍ أن خبرتكِ قد تجاوزت خبرتي بمراحل. . وأنا أعلم أنه في نهاية المطاف يجب لأحدنا أن يموت فهذه هي قوانين عائلتنا العريقة، والآن أنتِ من وضعتِ نفسكِ تحت إمرتي. . أي إنني متى طلبت منك قتل نفسكِ فستفعلين.
لم يحسب لذاك الخنجر الذي استقام على رقبته فجأةً بمجرد أن وقف لينظر خلفه بصدمةٍ وكل ما يتردد في ذهنه. . -كيف استدارت دون أن يلاحظها!!-
- لا تسل نفسك يا عزيزي كثيرًا فحين تتفحم في النيران التي سأشعلها لك لن تفكر إلا في الألم الذي تجنيه. .
قال هو ونبرته بالفعل قد ارتجفت:
- أجننتِ! أبعدي هذا الخنجر حالًا. . أنادي الخادم (خازنماس) أن يطوِّعها ويقيدها بـ. . .
ابتسمت له ابتسامةً شيطانيةً وهي تقاطعه:
- لا فائدة يا والدي العزيز. . أنسيت أنك علمتني كل ما تعلم؟ أي أنني محميةٌ مثلك من هجومٍ كهذا.
صارت نبرته أكثر حدة وهو يأمرها:
- قلت أبعديه يا (هورتِن)!
جرحت هي رقبته وهي تمرر السكين عليه باستقامة وقالت:
- ألا تعلم أن (هورتِن) لم تضع سكينًا على رقبةٍ من قبل إلا وقطعتها؟
اتسعت عيناه وبدأت نبرته تتقهقر وهو يردف:
- أمجنونةٌ أنتِ! لماذا تقتلينني؟ لقد علمتك كل شيء أهذا ما أستحقه؟!
ضحكت وهي تردف ببرود:

- أنا لا أحتاج إلى أصوات الاستجداء تلك بل يحتاجها ضحاياك يا رجل. .
- أنا والدك. .
ازداد عمق ذلك الخنجر على رقبته لكن دون أن تقتله، وأردفت ساخرةً:
- يا إلهي كم تأثرت!
تأوه هو وقد بدأ يتمتم بعباراةٍ ما هامسًا فهمست هي له بفحيح كوبرا مس أحدهم طعامها:
- ألم أخبرك أنه لا فائدة؟ كم مرةً سأخبرك أني محميةٌ؟ وأن استدعاؤك لخدمتك لن يجدي! لا سلطة لهم علي (جونيفر).
توقف هو عما يفعل وعاد يفتح فمه ليتوسل لكنها وبلا مقدماتٍ فصلت رأسه عن جسده. . تركت جسده يرتطم بالأرض بينما أمسكت رأسه للحظاتٍ تنظر لها قبل أن تردف بنبرةٍ صقيعية:
- لا تقلق يجب ألا تذهب ذكراك بهذه البساطة. . سأحنط رأسك ذات نظرة الذعر هذه وأعلقها في هذا المنزل. .
ثم وبهدوءٍ نادت:
- (دينياس)!
جاء هو سريعًا وقد بدا عليه أنه رأى كل ما حدث من بعيد فجاء مذعورًا مهرولًا وهو يجيب:
- مُريني سيدتي.
نظرت له لحظاتٍ قبل أن تعيد النظر للجثة الهامدة أمامها وتردف بنفس الهدوء:
- (هورتِن) لا سيدتي يا (دينياس) لا تخف فأنا لن أفكر يومًا بقتلك. .
أنت مختلفٌ عن أفراد تلك العائلة لذلك فأنا لن أهددك أبدًا. . أنت من

سيرث عائلة (إيجيران ساد)
سأترك لك الخيار إما أن تكون مساعدي، أو تبتعد تمامًا عن هذه الحياة.
اقترب منها وهو يقول بصوتٍ يشوبه بعض التردد:
- أنا خادمٌ لكِ (هورتِن) مادمت لا تفكرين بقتلي. .
أخذت نفسًا هادئًا وهي تنظر لتلك الجثة وتقول:
- لا أتراجع في كلمتي أبدًا. .
- إِذَنْ هيا نحرك تلك الجثة العفنة من هنا. . .
قالها (دينياس) فابتسمت ابتسامةً مختلفة، من الجدير بالذكر أن ابتسامتها وإن أخفت خلفها نوايا خبيثة إلا أنها ابتسامةٌ يجب أن تظل في الذاكرة. . ستقسم بنفسك إن رأيتها بأنها ستسبي كل رجلٍ يراها بها. . اللعنة ألا يكفيها الجمال الطاغي الذي تتمتع به وتهوى إخفاءه بين طيات ردائها عميق السواد هذا!
كان هذا ما قاله ذلك الدخيل الغريب فجأةً قبل أن يردف بجدية:
- هل جئت في وقتٍ غير مناسب؟
نظر له (دينياس) بدهشةٍ خلافًا لنظرات (هورتِن) الباردة وهي تجيب:
- ادخل (روجيك) استدعيتك حتى نتخلص منه سويًا فأنا أعلم كم تتشفى فيه الآن بعد أن جعل كل عائلتك تدخل إلى مشفى الأمراض العقلية ويموتوا جميعهم بعد شهر منتحرين. .
ابتسم بهدوءٍ وهو يجيب بألم:
- هل سنحرق جثته كما وعدتني؟
استدارت هي ولم تجبهم وسارت خطوتين للأمام ثم قالت لهم بنبرةٍ آمرة:
- أخرجوه من هنا وأنا سأحضر ما سنحتاج إليه.

أومأ الرجلان رأسهما وأسرعا يحملان جثةً بلا رأس تسكب الدم سكبًا. .
أما هي فأحضرت بعض الأدوات حتى تحرقه بسهولة.

●●●●●●●

وما هي إلا نصف ساعة وقد وضعت تلك الجثة على أعمدةٍ من الخشب وأشعلت فيه النار. .
- أين رأسه (هورتِن)؟
سأل (روجيك) فأجابت وهي تنظر لاحتراق باقي أشلائه:
- لا شأن لك بها.
صمت هو وتابع النظر ليردف بعدها بنفس النبرة المختنقة:
- أين رأسه (هورتِن)؟
نظرت له بدهشةٍ فلا أحد يكرر السؤال عليها مرتين، لكنها عادت تردف بهدوء:
- لا تتجاوز حدك يا. .
أخذ هو نفسًا عميقًا وقاطعها بغضب:
- ماذا؟ هل ستقتلينني؟ ستحرقينني؟ ربما ستعذبينني؟!
أنا لا أهتم بما ستفعلينه بي، لطالما كنت حذرًا قبل أن ألمس النار لكن الآن!
اقترب منها أكثر حتى بات في مواجهتها تمامًا وعاد يتابع بانفعالٍ شديد:
- كان يومًا غريبًا حين تعرفت إليكِ. . وكنت دائمًا أراكِ مصدرًا للإيحاء كله. . مختلفة، غريبة، شريرة، سوداء، دائمة الغضب والخبث والدهاء. . ولكني أحببتك بكل غباء. . ليس فيكِ إلا ما هو أسود. . وأنا عشقت هذا اللون بعدما تعرفت عليكِ.
لم تحرك ساكنًا وظلت تنظر للجثة التي تحترق وهو يتابع:

- كم مرةً صارحتكِ بهذا؟ مرة. . اثنتان؟ عشرة؟؟ لا أتذكر يا (هورتِن) لكني أتذكر كم الشرور التي أتتني من خلفك. . مقتل أهلي كلهم ثم أصدقائي، والأهم من كل هذا أنني لم أستفد أي شيء! لم تقعي في حبي، لم ترضي بي يومًا. . !!

كنت أكتفي بالتقرب إليك في البداية لكن لم أعد أكتفي. . أنا (روجيك) الساحر الذي يروي عنه الكثير أقع في غرام تلك التي لا يختلف قلبها عن الصخرة الصلبة!. . ما خسرته لأجلك أعظم بكثيرٍ من أن يعوض بتقربي إليك. . لن أعيش فقط لآخذ منك ابتسامة! لا أنا أستحق ما هو أفضل.

ثم تراجع خطوةً للخلف وهو ينظر لوجهها الذي لم تتغير ملامحه الهادئة غير المفهومة، واستدار بعدها ورحل آسفًا على حاله المزري.

وبمجرد أن ذهب نظرت هي نحوه بهدوء ثم عادت تنظر في أثر تلك الجثة حين ذهب واختفى أثره، وأردفت بخفوتٍ أمامها والنار تنعكس شعلاتها في عينيها:

- أقسم أنك لم ترَ شيئًا بعد يا (جونيفر إيجيران ساد) إن ظننت أن الموت هو النهاية فأنت تحلم!

وكان (دينياس) يقف متفرجًا يراقب كل ما يحدث بصمت. . لا دور له سوى النظر بجهلٍ لما يحدث أمامه.

●●●●●●●

أخذ هذا الرجل نفسًا عميقًا من السيجارة التي في يده، وقد كان النفس الأخير فيها حيث قام بإطفائها بعدها بهدوءٍ وهو ينظر إليه بابتسامةٍ شاردةٍ وبدأ يتحدث:

- ستضيع وقتك معي سيد (لؤي)، فإن المعلومات التي أعرفها عنها لن

تفيدك، بل على العكس. . هي لا تخصك في شيء.
رفع (لؤي) حاجبيه ناظرًا إليه باستنكارٍ متسائلًا بجدية:
- وهل حددت أم عممت نوع المعلومات التي أريدها عنها؟
استرخى ذلك الرجل وهو يجيب بنبرةٍ متزنة:
- لا بأس. .
معرفتي بها لم تكن سطحيةً أبدًا -كما قُلتَ في البداية- فقد كانت بمثابة الإلهام لي في أي عملٍ أقوم به على المسرح. .
أغمض عينيه لثوانٍ وكأنه يتذكرها وهو يتابع بهدوء رغم لمحة الألم التي بدأت تتضح في صوته:
كانت تؤمن بالتجديد. . . ومن هنا آمنت أنا به!
لم أكن أستطيع أن أبدأ العرض إلا بعد رؤيتها، لذلك وببساطة تقاعدت بمجرد اختفائها.
أصيب (لؤي) بالشَّدَه وهو يستمع إليه حتى إذا ما صمت سأله بحذر:
- أكنت تحبها؟
ضحك، ثم دمعت عيناه ألمًا، ثم عاد ليضحك، ثم صمت واشتكى:
- كنت، ولازلت، وسأظل بكل غباء. . ولكن هي لم تكن ولم تفعل يومًا. .
في الحقيقة أيها المحقق لم تكن كغيرها، كانت فريدةً. . فريدةً كما كسوف الشمس إذا ما رأيته انجذبت وإلم تكن محبًا للطبيعة!
أجابه (لؤي) متفهمًا:
- أنا أتفهم وضعك، فلم تكن الوحيد من بينهم الذي أَحبها، فقد شعرت أنها كانت تهيم على قلوبهم أجمعين.
أخذ نفسًا هادئًا وابتسم بسخرية مجيبًا:

- نعم سيد (لؤي) فقد كانت بالنسبة لنا سرًا غامضًا، لطالما سعينا لكشفه ولم نستطع، و قد وقعنا في شباكها دون أن ندري. .

- كيف؟ لا أفهمك!

- كانت تتخفى تحت غطاء الليل فلا نراها، لم أذهب يومًا إلى منزلها. . ولم تسمح لأحدٍ قط أن يزورها.

تحب الأسود، وتتشح دائمًا بوشاحٍ أسود، تنظر إليك بنظرة حادة كطيرٍ جارح آذيت صغيره حال وضعه. .

ولم أرَ ابتسامتها إلا مرةً واحدةً فقط، كان يومًا تاريخيًا لدرجة أن (ليو) قد رسمها معتمدًا على ذاكرته فقط.

رمشت عيناه وهو يقول هذا وقد تذكر المرات التي رآها بها تبتسم. . كانت ثلاثة في ذاكرته وهو لم يخبره إلا بالمرة الأولى فقط، حتى أنه الوحيد الذي كان يعرف منزلها، دار في عقله أنه لا يجب أن يطلع على أكثر من هذه التفاصيل. .

- ألهذه الدرجة انطبعت ابتسامتها في مخيلته!

سأله (لؤي) ليخرجه من شروده، فأجاب هو:

- كان (ليو) رسامًا ماهرًا، وكانت ابتسامتها أجدر من أن تُنسى. .

- وأين كنتم ترونها باستمرار؟

تذكر مسرحه الذي كانت تزوره فيه باستمرار. . ثم أجاب ببرود:

- في الحفلات الضخمة جدًا، فلم تكن تترك أي حفلةٍ سوف يُذاع خبرها في الجرائد إلا وحضرتها.

- لماذا؟

نظر له في عينيه مباشرةً وكأنه ينبهه بطريقةٍ هادئة أن هذا القدر من

الأسئلة يكفي. .
- لأنها كانت تهتم بالتعرف على أكبر قدرٍ من المشاهير، هذا ما فهمته بعد العديد من الحفلات التي حضرتها.
- لماذا تهتم بهذا إن كانت انطوائيةً لتلك الدرجة، بل وكيف كانت تنخرط مع المشاهير إلم تفعل ما يجعلها منهم، أنا لست مقتنعًا ولا أفهم!
وضع إحدى قدميه على الأخرى وهو يرد بتهكم:
- المصالح سيد (لؤي). . !
- كيف. . ؟
- كانت دائمًا تحضر لنا الأشياء التي من الصعب جدًا الحصول عليها.
نظر له في شكٍ وبدأ يتراجع بجسده للخلف قليلًا وهو يتحدث:
- لكن أنا أعلم أن ما كان يجمع بينكم أكثر من علاقاتٍ بسيطة، لذلك فأنت لم تتحدث بكل ما لديك بعد.
أخذ الرجل نفسًا عميقًا وأجاب بهدوء:
- (هورتِن) كانت تحضر لي ما أحتاج إليه في عرضي كساحر.
- مثل. . ؟
- تعاويذ، أفكار. . والأهم من ذلك كله أنها أعطتني المومياء (شيزون).
سأله (لؤي) بجدية:
- أليست تلك المومياء هي التي كانت في العرض الأخير لك، والذي قدم بلاغٌ ضدك فيه أنك. .
ضحك فجأةً وتابع عنه الساحر:
- نعم قيل عني أنني جعلت المومياء خاصتي تأكل قدم الفتاة الصغيرة.
- نعم ثم تبين أنها بخيرٍ وأنها تعمل معك.

- كيف فعلتها؟
- آسف، الساحر لا يكشف عن خدعه أبدًا. .
تحولت نظرة (لؤي) إلى الصرامة فجأةً وبدأ يقول:
- أنا أثق أن تلك المومياء التي أهدتها لك حقيقية (روجيك)، فما أعرفه عنها يجعلني على يقينٍ أنها لا تهدي لعبًا!
ابتسم (روجيك) له ابتسامةً ماكرةً وهو يسأله:
- ومن قال إنها لعبة؟
تلك المومياء سيد (لؤي) حقيقية تمامًا، وقد أُحضرتها لي بناءً على طلبٍ مني.
اتسعت عيناه، وأخذ يردد بصدمة:
- مـ . ماذا كيف تفعلون هذا؟
- سيد (لؤي) أنا أتذكر أنك طلبت مني البوح بما لدي بصدقٍ وأنا فعلت لأنني مثلكم أريد أن أعلم أين هي؟ وهل هي على قيد الحياة أم لا؟ ولم نتفق أبدًا أن تحاسبني على ما كنت أفعله.
زفر وسأله باختناق:
- وأين هي تلك المومياء الآن. . ؟
أجابه بهدوءٍ وهو يشعل سيجارةً أخرى:
- دفنتها في إحدى المقابر البعيدة بعد أن تقاعدت. .
لم يبدُ عليه الصدق، ولم يصدقه (لؤي) أبدًا لكنها ليست قضيته فتهريب المومياوات من مصرٍ إلى فرنسا قضية مصر لا فرنسا!
- متى آخر مرةٍ رأيتها؟
كانت نظرة (روجيك) غريبة وكأنه يستحضر ذكرى مؤلمة. . في الحقيقة نعم فلقد كانت ذاكرته تعيد عليه أبشع مشهدٍ حضره في حياته. . مشهد

لها وقد فارقته.
أغمض عينيه يتذكر للحظاتٍ جثتها الراقدة أمامه بصدمة، تذكر كيف انهار بجانبها وهو يراها مطعونة البطن. . حاول كثيرًا إفاقتها ولم يستطع. .
- (هورتِن)!
كانت هذه الكلمة التي صدرت عنه وهو يمسك يدها الباردة. .
هل يديها باردةٌ حقًا؟ هل تموت (هورتِن) كما يموت الجميع!! كيف؟!!
- أجيبيني أيتها السابية. .
كانت عيناها مغلقتين، وإحدى يديها على بطنها والأخرى في يده. . سقط عن شعرها الوشاح الأسود ليظهر من خلفه شعرٌ شديد السواد وكأن سواد وشاحها طغى عليه. . كم يخالف شعرها وجهها الأبيض بسيط الملامح، كيف كانت (هورتِن) هي نفسها تلك البريئة التي ترقد أمامه الآن؟ كيف؟!
سقطت من عينه عبرةٌ تلتها أخرى وأخرى وهو يحملها قائلًا بإصرار:
- لا. . لا لن أسمح لكِ بهذا. . لن أسمح لكِ أن تتركيني وترحلي.
وفجأةً لم يشعر بنفسه وهو يقع فجأةً فاقدًا وعيه ليستيقظ في اليوم التالي على فراشه وكأن شيئًا لم يكن!
بدأ يستفيق من تلك الذكريات المؤلمة التي مرت كلمح بصرٍ واتاه، وأجابه بهدوءٍ استطاع فيه بكل حنكةٍ إخفاء أثر الألم منه:
- بعد آخر عرضٍ مسرحيٍ قدمته.
لم يصدقه (لؤي) أبدًا فقط كانت نظراته غير متزنة لكنه لم يستطع البوح. . يكفيه هذا اليوم.

●●●●●●●

٢٩

دخل كلاهما للمنزل بعد أن كسر هو ذلك الباب ضعيف القفل، وما إن دخلا حتى عاد ليغلقه فنظرت له تسأله بتوجس:

- لمَ أغلقته (لؤي)؟ اتركه حتى أشعر بالأمان.

ابتسم لها ابتسامته الودودة وتقدم ليضع يده على كتفها ثم يجيب بهدوء:

- أنا بجانبكِ أيتها الطفلة.

سمع كلاهما صوتًا للهواء بالخارج تقبلته أذنه بأريحية بينما ترجمته أذنها على أنه شبحٌ، أو جن، أو ربما عفريتً. . !! فأمسكت بيديه بقوةٍ وهي تردف برجفة أطفال:

- نعم أنا طفلة خائفة فهلا أنهينا هذا الأمر سريعًا.

أومأ رأسه لها مردفًا بتفهم:

- حاضر حبيبتي هيا نبدأ. .

وكأنه حين قال هذه الكلمة فقط بدأ كل شيءٍ يتضح جيدًا. . كان المنزل مظلمًا إلا من بعض الحشرات المضيئة وكان ذلك غريبًا فهذا المنزل يختلف تمامًا في مناخه عن الجو في الخارج، فهو مناسبٌ لتكاثر مثل تلك الحشرات. تحت ضوء هذه الحشرات استطاع أن يرى منزلًا فخمًا جذابًا، فأثاثه من الطراز الحديث، لينتقل إلى الجدران فيرى الكثير من رؤوس الثيران المحنطة، المعلقة على الحائط، حين تنظر لها تشعر أنها تنظر لك أيما كانت الزاوية التي تقف فيها!

بدأ كلاهما السير على أرضٍ لا ساتر لها عن لونها الأحمر وكأنها الدماء.

هذا المنزل كان غريبًا جدًا، فبرغم الألوان الغريبة التي بداخله إلا أنه يبدو

جذابًا بطريقةٍ أو بأخرى، لكن مع ذلك فأنت تشعر فيه باختناقٍ شديد. .
تمسكت (صبا) أكثر بقميص زوجها وهي ترى على امتداد الحائط تلك الرؤوس المحنطة، وتعمدت ألا تسأل سؤالًا واحدًا.
بمجرد أن خرجا من تلك الغرفة كان هناك ممران سلكا هما أحدهما ليجداه ينتهي بممران آخران ليكتشفا أنه في نهاية الأول -دورة المياه- الذي نظر له كليهما بلا رغبةٍ في فحصه أبدًا فقد بدا خبيثًا. .
- يا إلهي! كل غرفةٍ في هذا المنزل. .
- تقص تاريخًا لحقبة من الزمن!
كانت هي المتحدثة الأولى بدهشة فكانت دهشته مثلها وهو يتابع عنها.
نظرا لبعضهما ثم لذلك الحمام وكأنك أصبحت فجأةً في العصر الحالي ثم انتقلت بصورةٍ مفاجأة للعصور الوسطى. .
فكانت أدوات ذاك الحمام حديثة لكن ألوان الجدران مريبة عليها رسومٌ كما الرسوم في قبور الفراعنة القدماء.
لم يكن فيه لا حوض استحمام، ولا حتى ساتر بل فقط بداخله تلك الرسوم ومرحاض وصنبور ماء.
ابتعدا عنه بهدوءٍ وسارا في الطريق المخالف له لقد انتابهما بالفعل شعورٌ بأن ذلك المنزل مسكون. . فكيف له ألا يكون ولا يوجد فيه حتى أثرٌ لخيط عنكبوت!
على كل حال هو الآن فقط يخاطر، وليس على يقينٍ أنه منزلها، أطلا على مطبخٍ لا هو ضخم كباقي البيت، ولا هو ضيق، وإنما هو مزيجٌ بين ذلك وذاك.
صرخةٌ عاليةٌ خرجت منها وسرعان ما أخمدتها بوضع يدها على فمها، وإليكم المشهد. .

رأسٌ آخر مُحنط. . لكن هذه المرة ليس لثور. . بل لبشري. . نعم بشري كان يفتح فاه كأنه يصرخ وعيناه مفتوحتان على مصرعيهما، وقد تم تعليقه في منتصف المطبخ. . لم تكن تلك المفاجأة بعد، بل المفاجأة أن هناك ورقة وُضِعت على رأسه عمدًا مكتوبٌ عليها -فاتحٌ للشهية-!!!

نظر كلاها لبعضهما للحظاتٍ قبل أن يعيد (لؤي)ٌ النظر إلى تلك الرأس وهو يقول:

- أنا لا أدري أي نوعٍ من البشر كانوا يا (صبا) لكن ما أعرفه أن هذه جريمةٌ أخرى!

نظرت هي في كل مكانٍ عدا ذلك الرأس المرعب ورددت بغضب:

- ليسوا بشرًا يا (لؤي). . ليسوا بشرًا صدقني.

كان يدون غريبَ ما يراه وإن كان كل ما يراه غريبًا، بينما (صبا) بدأت تتذكر مشهدًا قرأته ذات يومٍ في إحدى الروايات عن شخصٍ كان يستلذ برؤية رؤوس أعدائه معلقةٌ أمامه! ابتسمت وكأنها كانت تعيش تلك الرواية، ربما كانت هي شجاعةً طوال حياتها إلا بعد أن رأت أبويها مهشمين تحت رماد قنبلةٍ أبادت كل من بالمنطقة. .

كان ذلك المشهد جديرًا بأن يذكرها بأبشع ما رأته عيناها يومًا، وفجأةً وبلا مقدماتٍ رأت امرأةً بيضاء الوجه سمحة الملامح تدنو منها، بينما وقفت (صبا) ترنوها بصدمةٍ قبل أن تخرج الدموع من عينيها وهي تردف هامسةً:

- أ. . أمي!

اقتربت منها تلك السيدة ذات الرداء الأبيض تبتسم لها وهي تفتح ذراعيها أمامها وتجيب بحنو:

- أما اشتاقت لي حبيبتي!

لم تدرك هي نفسها إلا ووجدتها بين أحضان تلك السيدة التي أضناها عشقها لترتوي من سلسبيل حنانها. .

- لمَ غبتِ عني كل تلك الفترة يا أمي، لمَ؟

رفعت والدتها وجهها نحوها ومسحت لها دموعها ثم قبلت رأسها وهي تردف:

- أنا دائمًا معكِ حبيبتي فقط كوني بحاجتي.

رفعت رأسها لتنظر لها وتسألها بدهشة:

- أنا دائمًا بحاجتكِ أمي!

هزت والدتها رأسها نافيةً وأشارت لها على ذلك الذي يرنوها بحنو الملامح من خلفها وهي تجيب:

- لم يتركك بحاجةٍ لشيء يا ابنتي. . لقد أغدق عليكِ حنانًا جعلكِ تتخطين كل تلك الأزمات. . أنا ووالدكِ بخيرٍ طالما تلك البسمة على وجهكِ، والسعادة في قلبك. .

سألتها (صبا) باسمةً:

- أين أبي إِذَنْ؟

نظرت والدتها خلفها فنظرت (صبا) حيث تنظر لتجد والدها المغطى بالضوء كوالدتها تمامًا. . سارت نحوه وضمته بقوةٍ وهي تردد:

- اشتقت لك كثيرًا. .

قبل رأسها وهو يجبها بخفوت:

- نحن معكِ حبيبتي في كيانكِ وبداخلكِ. . فقط ابتسمي واشعري بالسلام الداخلي كما كنت أقول لكِ دومًا.

ضحكت وهي تتذكر تلك النصيحة التي كان يرددها لها عندما تفلت منها أعصابها. .

كان أمرًا رائعًا جدًا، أسرعت هي نحو هذا الواقف بهدوءٍ هناك، يبتسم لسعادتها ولا يتقدم لربما ضايقها، لكنها ذهبت نحوه واحتضنته وهي تقول بسعادة:

- أتراهم مثلي (لؤي) أتراهم!

ربت على شعرها قائلًا:

- أراهم حبيبتي أراهم. .

فقط كان شيئًا لا يُصدق، لكنها عادت لتنظر لهما لتجدهما يقتربان منها ويقفان أمامها مباشرةً ويردفان بنبرةٍ هادئة تلقي الطمأنينة في القلوب:

- كما أخبرناكِ، نحن معكِ دائمًا. .

●●●●●●●

كانت (صبا) قد فقدت وعيها مذ رأت هذا المشهد -الرأس المحنط- وقد أدرك هو تمامًا ما الذي تذكرته برؤيته!

ومنذ ذلك الوقت وهو يحاول إفاقتها يسب نفسه التي سولت له أخذها معه إلى مكانٍ مقرفٍ كهذا!

- (صبا) استفيقي أرجوكِ هيا حبيبتي.

فكر في نثر بعض المياه على وجهها فبحث عن الصنبور ليجده في نهاية هذا المطبخ المقرف، أسرع نحوه وما إن فتحه حتى صرخ فزعًا فقد غطى الدم الذي خرج من الصنبور يده. . أجل الصنبور ينزل الدم لا الماء!

أغلق الصنبور وأخذ يحرك يده بقوةٍ ليزيل ذاك الدم من عليه.

ثم أسرع نحو زوجته فحملها وأسرع بها نحو الباب ليخرج، وهنا كانت المشكلة فهو لم يجد الباب!

أخذ يدور حول نفسه ينظر في كل الاتجاهات، لا فائدة لا يجد الباب أبدًا!

نظر لزوجته التي كانت بين يديه فوجد أنه كان يحمل هيكلًا عظميًا فأفلتها فزعًا وهو يقسم أنه رأى جمجمة الهيكل تتحرك نحوه. . عاد إلى المطبخ فوجد زوجته مازالت على الأرض، فاقدة الوعي، لكنه انتبه لذات الرداء الأسود التي تقف أمامها. .

لقد علم جيدًا من تكون أخذ يقترب. . ويقترب، ويقترب بهدوءٍ، فاستدارت نحوه، ونظرت له نظرةً باردة، فوضع يده أمامه وهي يردف ملتمسًا:

- (هورتِن)، أرجوكِ. . لا دخل لـ(صبا) بأي شيءٍ، لو أردتِ معاقبة أحدهم فعاقبيني أنا.

عادت تنظر لها نظرةً غريبة هادئة قبل أن تعيد النظر له وتردف:

- أتحبها يا (لؤي)؟

نظر لزوجته فاقدة الوعي وأجاب بخفوت:

- أكثر من نفسي.

عاد يقترب منهما حتى إذا ما وقف أمامها انحنى وقام بحملها وهو يردد:

- أكثر من حياتي. . أكثر من كل ما أملكه في عمري. . أكثر من الدنيا وما فيها. .

حين حملها سار تاركًا إياها خلفه وهو يتابع بهدوء:

- أنا أدرك جيدًا يا (هورتِن) أن تلك الخيالات ستنجلي حين أكتشف من أنتِ بالضبط، حين أحل ذلك اللغز.

ثم عاد لينظر خلفه فلم يجدها فقال باسمًا:

- كنت أعلم أنني أتخيل فقط، لكنه لم ينتبه إلى نفسه حين كان يسير إلى أنه دخل إحدى غرف هذا المنزل . . المهم أنه وجد فراشًا، فأسرع ليضعها عليه وجلس بجانبها ينتظر أن تستفيق. .

لم يشعر بنفسه وهو يذهب في سُباتٍ عميق وكأنه لم ينم منذ قرون. .

٣٠

الأخيرة

استيقظا كلاهما فجأةً على صوتٍ لأقدامٍ تسير في ذلك المنزل. . نظرت له زوجته وهي ترتجف وتسأله بخفوت:
- أ. . أين نحن؟
وقد كانت أصلًا تنظر حولها لتلك الغرفة السوداء المرعبة، فأمسك يدها يهدئها ويجيب بهدوء:
- لقد غفونا هنا، لا أدري كيف غفوت أنا، أما أنتِ ففقدتِ وعيك هنا حين.
ثم صمت حتى لا يذكرها بالأمر. . حينها أردفت بجدية:
- إِذَنْ هل سنطيل المكوث هنا؟
هز رأسه نافيًا وهو يجيب:
- هيا لنخرج من ذاك المكان الغريب. .
وقد كان في نيته العودة، لكن وحده.
خرجا من المنزل، وبمجرد أن خرجا نظر للبيت من الخارج وصدم ليقول بجدية:
- صبا، إن مساحة هذا المنزل تفوق مساحته من الداخل بأضعاف مضاعفة,
ثم سار يسارًا وتابع بصدمة:
- انظري، إن الغرفة التي كنا فيها أكبر بكثيرٍ من مجرد المساحة الطبيعية لها!
نظرت حيث قال فوجدت أنه محق، فمساحة البيت من الخارج غير

متطابقة بالأخص في تلك الغرفة من الداخل. . لكنها قرأت في عينيه رغبته بالدخول مرةً أخرى. .

- لا تقل أنك تفكر في. .

- إن كنتِ تمانعين فأنا لن أفعل.

ياله من مزعج، ليته لا يحرجها بذوقه هكذا في كل مرة. . !

- حسنًا أيها الفضولي، لكن لن نتأخر.

- حاضر.

ثم سارا نحو الداخل من جديد، دلفا لتلك الغرفة وظل ينظر لها لبعض الوقت قبل أن يشير على جدارٍ ما ويقول بجدية:

- هذا الجدار. .

كانت خزانة الملابس موضوعةٌ في ذاك الجانب. . فتقدما نحوها وبدأ كل منهما يحاول زحزحته. . وبالفعل خلال وقتٍ قصير كان قد تحرك. .

لكنه لم يجد بالجدار أي ثقب. . بل كل ما وجده كان مستطيلًا صغيرا في الحائط يختلف لونه عن لون الجدار. . فأحضر مزهرية من الغرفة بدا أنها قوية الصنع وبدأ يطرق على ذلك الجدار بها. . ليتفاجأ ببابٍ صغيرٍ ينفتح أمامه فجأة. .

ابتسم قائلًا لها بنصر:

- ألم أقل لكِ؟

كانت قد نسيت خوفها احتفاءً بنصرهما، وبهدوءٍ بدأ هو أولًا يعبر ذاك الممر الصغير، ثم مد يده لها ليسحبها معه. .

وقفا أمام تلك الغرفة المرعبة. . هنا يوجد هيكلٌ عظميٌ مسلطٌ عليه ضوءٌ أزرق، وهنا يوجد مرطبانٌ من تلك الحشرات المضيئة، وهناك يوجد أدواتٌ

لا يعرفان ما هي أصلًا. . والكثير جدًا من الأرفف الموضوع عليها مرطباناتٌ من بودرة بيضاء لا يعرفان ما نوعها!
الأغرب من كل ذلك هي رائحة البخور التي تملأ الغرفة وكأن أحدهم بخرها الآن. . تقدما للأمام ليجدا في نهاية تلك الغرفة تابوتًا مثل توابيت الفراعنة تمامًا. . يكاد يقسم من يراه إنه سرق من أحد المقابر المصرية القديمة. .
وقفا أمامه وكان هناك ضوءٌ أحمرٌ مسلطٌ فوقه. . وقرر (لؤي) فتحه، فأمسكت (صبا) بسترته تخوفًا من الذي قد يرياه بالداخل. . حركاه قليلًا. . وإليكم المشهد. .
شابةٌ مطعونةٌ في بطنها تحللت أجزاءٌ فقط من جثتها، وبقي وجهها لحمًا على عظم فقد جف اللحم والتصق بعظام الوجه، وعيناها متسعتان، وشعرها أبيض، وكأنه قد شاب من الغذاب، ويديها ممسكةٌ بالسكين التي طُعنت بها.
كان المُتحلل من جسمها يدها فكانت عبارة عن عظام. . وساقها بالكامل، وكذلك أجزاءٌ من رقبتها. .
لم تتحلل كالبشر الطبيعيين أبدًا. .
بالطبع كان المشهد كفيلًا بجعلهما يتقيآن ثم يفقدا وعيهما، لكنهما تقيآ فقط بسبب تلك الرائحة القذرة، وأسرعا بإعادة غطاء التابوت كما كان. .
فجأةً سمعا صوت أقدامٍ تقترب، فأسرعا بالاختباء خلف جدارٍ مجوفٍ بالحائط، وأمسك هو بيدها فقد كانت ترتجف. .
اقترب ذاك الصوت كثيرًا حتى وصل للتابوت، وقف أمامه بعض الوقت قبل أن يردف بحزن:
- مرحبًا أختي العزيزة. . لقد أردت أن أخبركِ أنني حقًا اشتقت لكِ. .

اليوم هو ذكرى وفاتكِ الأول ولم أقدر على عدم القدوم، والتعبير عن مدى شوقي لكِ.
هل تذكرين ذاك اليوم الذي صرختِ بوجهي فيه وأرغمتني على طعنك؟ هذا اليوم دائمًا يُكرر في ذاكرتي. . ويظل يكرر ويكرر ولا أستطيع نسيانه أبدًا (هورتِن).
هنا وضعت (صبا) يدها على فمها وهمست:
- أهذا هو (دينياس)؟
أومأ (لؤي) رأسه، وأجاب بهمس:
- بلى.
سمعاه يتابع بجدية:
- (روجيك) بالطبع هو من جاء إلى هنا ونسي إغلاق الباب. . نسيت إخبارك لقد كان حزنه على فقدانك يفوق حزني بآلاف المرات. . حتى أنه حاول قتلي عدة مراتٍ لكن ضميره لم يسمح له. . ياله من مجنون. . يا فتاة لقد كان مغرمًا بكِ.
ضحك وهو يستند على ذاك التابوت، يحرك يده عليه ليلمس اسمها المنقوش، وسقطت منه دمعةٌ وهو يتابع:
- اشتقت لكِ كثيرًا حقًا.
فجأةً سمع ذاك الصوت من خلفه يردف بهدوء:
- لست وحدك من اشتاق لها أيها المعتوه القاتل. .
نظر له (دينياس) وابتسم ساخرًا. .
- ما الذي أتى بك (روجيك)؟!
اقترب (روجيك) من التابوت وجلس أمامه قائلًا بألم:

- جئت أراها أيها المعتوه، هيا اغرب عن وجهي. .
كانا يجلسان وقد سيطرت الصدمة عليهما حقًا. . وهما يستمعان إلى (روجيك) يتابع:
- ذلك اليوم الذي ذهبتما فيه إلى تلك المقبرة أخبرتني أنها ذاهبةٌ في طريق اللاعودة. . لم أفهمها. .
- كان باب المقبرة لا يُفتح إلا بدم فتاةٍ مارست السحر، وليس أي دم بل أكثر من نصف دمها كاملًا، أي أنها كان يجب أن تموت لأخرج. . هي أخبرتني بذلك (روجيك). . كان لدي استعدادٌ أن نموت كلانا أقسم لك لكنها مارست نوعًا من التأثير علي فطعنتها.
أخذ (روجيك) نفسًا عميقًا وقال:
- لطالما كانت أنانية، لم تفكر فيّ حين فعلت ذلك. .
حينها أراد كلاهما الخروج من تلك الغرفة سريعًا فقط، حتى لا ينكشف أمرهما، ولحسن الحظ كان ذاك الجدار قريبًا من الباب، لذلك تسللا حتى وصلا إلى الباب، وبكل هدوء جعلها تصعد قبله، ثم صعد هو الآخر ليتركاهما يندمجان فيما يفعلان.
ركضا من تلك الغرفة إلى الخارج ثم إلى السيارة لينطلقا. .
نظرت له (صبا) وقال بجدية:
- وماذا الآن. . لقد انكشف اللغز هل ستنشره؟
نظر لها للحظاتٍ بعمق، ثم قال بجدية. .
- لا حبيبتي. . سوف نعود إلى بلدنا. . وننسى كل ذلك. . تلك القصة من الأفضل لها أن تكون طي الكتمان.

وسنعيش أنا وأنتِ وطفلنا بسلام.

●●●●●●●

كان (دينياس) واقفٌ أمام ذاك الباب، قبل أن يعود إلى (روجيك) وهو يردف بهدوء:

- لقد غادرا.

حينها فتح ذاك التابوت على (هورتِن) لتخرج منه ببساطة وكأن شيئًا لم يكن، وبدأت تزيل من عليها تلك العظام التي وضعت ببراعة فوقها لتبدو وكأنها تحولت لهيكل. . ثم ذلك الشعر الأبيض الاصطناعي، وما وضع على وجهها وعينها. .

نظر لها (دينياس) وتساءل بجدية:

- مازلت لا أفهم يا (هورتِن)، لماذا؟ لماذا لم نتخلص منه كالبقية واضطررنا لكل هذا التمثيل؟

ظهرت شبح ابتسامةٍ على وجهها وهي تخرج من التابوت، وتلقي بتلك السكين بداخله، لتقول بهدوء:

- لأنه لن يخبر أحدًا بما سمعه. . ذلك الرجل فضوليٌ لأقصى درجة (دينياس)، وقتله ليس الحل. . لكن نهاية قصتي ستجعله يهدأ.

تحدث (روجيك) بقلق:

- وماذا لو. .

بثقةٍ قاطعته:

- مستحيل، لن تصل كلمة مما وصل إليه للنيابة، ثقوا بي.

أومأ (دينياس) برأسه وهو يردف بجدية:

- سأذهب أنا فلدي عملٌ هام.

وخلال دقائق كان قد غادر بينما بقي (روجيك) وهو لم يقتنع أبدًا بما قالته، بل أضاف:

- (هورتِن)،، أخبريني ما السبب الذي جعلك تعارضين قتله،،

ابتسمت ناظرةً له وهي تردف:

- أنت ذكيٌ جدًا أيها الساحر المُبجل،

- ألا يستحق ذاك الذكي أن يفهم السبب؟

سارت للأمام قليلًا وهي تجر ذيل ثوبها خلفها وأجابته:

- حسنًا، لأنه،،

ثم صمتت قليلًا وتابعت بغموض:

- أخي،

يتبع

تواصل معنا :

01011464037

E-mail -:Sonon. Pub@Gmail .com

جميع حقوق النشر محفوظه لدار سنون للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه